مُقَدِّمَة

بقلم فضيلة العالِم الكبير الشيخ الدكتور مصطفى حلمي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية ورئيس قسم العقيدة والفلسفة سابقًا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن كتاب «صلاح الأمة في علّو الهمَّة» يتضمن التسجيل الواقعي لجهود الصفوة من أمتنا الإسلامية على مدى التاريخ الإسلامي -منذ عصر الرسول ﷺ- والصحابة والتابعين، ومن سار على دربهم إلى العصر الحديث، حيث أقاموا صرح الحضارة المتميزة؛ لأنها فريدة في نشأتها، فأصلها الوحي الإلهي المعصوم بالكتاب والسنَّة، وقد قام أولئك الأفذاذ بتطبيق شرع الله تعالى في واقع الحياة تطبيقًا عمليًّا فذًا، فنجد قيم العدل والإحسان عند الخلفاء والأمراء، وتجد من بذلوا الأرواح للجهاد في سبيل الله تعالى لجعل كلمة الله هي العليا، وتجد العلماء والزهَّاد والعبَّاد والدعاة والمجاهدين والملوك والقضاة والوزراء والأدباء والشيوخ والشباب والصبيان والنساء، وتجد النوابغ في علوم الشرع والعلوم التجريبية كالطب

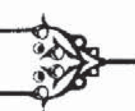
والكيمياء والصيدلة والطبيعة وعلم الحيوان والفلك.

وحرصت الصفوة من الأمة الإسلامية قرنًا بعد قرن على اتِّباع الأوائل -كما يتضح من هذا الكتاب- ولم يخل عصر من مجدِّدين يتبعون أهل العصور المفضَّلة الأولى.

وفي ضوء سنن الله تعالى في النصر والهزيمة، كان النصر حليفهم على طول الخط ودانت لهم الدنيا، فلمَّا ضعفت صلة المسلمين في السنين الأخيرة بعقيدتهم وشريعتهم توالت الهزائم وتكالبت عليهم الأمم، كما هو ظاهر أمامنا في هذا العصر.

ولكن لا بد من الإشارة إلى عامل خارجي يتمثل في جرائم الغرب في العصر الحديث كعامل رئيسي في هزيمة الأمة، وقد بدأ بإسقاط الخلافة العثمانية بواسطة صنيعته أتاتورك «اليهودي الدونمي» عام ١٩٢٤، فتقطعت أوصال الأمة بعد انفصام رابطة الخلافة، وأصبحت بلاد المسلمين فريسة لأعدائها، وفي غياب الشريعة الإسلامية فُرضت خطط التغريب واتسعت شبكتها عن طريق استيراد القوانين الوضعية، ومناهج التربية والتعليم، وتقليد البلاد الأوروبية في الآداب والفنون والعادات، وزاد الطين بلَّه أن أصبحت بلاد المسلمين حقول تجارب لأنظمة سياسية واقتصادية مستوردة من الشرق والغرب غريبة عنها ولم تنبت أصلًا في تربتها، أي: إمَّا المشروع الماركسي الملحد، أو المشروع الديمقراطي الزائف الذي طُبِّق لتمكين عملاء الغرب للوصول إلى سُدّة الحكم، بطريقة التزوير وللحيلولة دون وصول المسلمين إلى السلطة.

ولكن لا يدفعنا الواقع المرّ للاستسلام والتخاذل؛ فمن أسرار الإسلام العظيمة قابليته للتجديد والانبعاث المستمريْن، وتلك طبيعته



التي لا تنفك عنه، ما دام في الأرض قرآن يُتلى ويدّرس، وقلوب مسلمة تتوق لرؤية شرع الله يُطبَّق، وعقول وسواعد تجاهد من أجل ذلك [1].

✍ وسنثبت أن الحضارة الإسلامية تتمتع بميزة الحيوية والاستمرار بالرغم من كل العوائق.

□ **ونعود فنقول: إن محتوى كتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» كالشلَّال المتدفّق الذي تحتاجه الأمة لتغيير دمائها الملوثّة بسموم الغرب الثقافية بأخرى نقية تصلها بدينها وتاريخها وتراثها الإسلامي، كذلك يصحّح الصورة التي زيَّفها المستشرقون والملحدون بالتركيز على الفتن والسلبيات والاجتهادات البشرية الشاذة، فضخمّتها لتخفي عن عمْد الجوانب المشرقة المضيئة.**

ويحثنا الكتاب أيضًا على اتخاذ تراثنا الإسلامي زادًا نواصل به ما انقطع أثناء زمن الاستعمار والغُربة، كما يأذن بمحتواه الثريّ بفتح الأبواب للولوج منها إلى عدة قضايا، وسنحصرها فيما يلي:

ضرورة عودة التراث الإسلامي كمصدر للدراسات الجامعية ومناهج التربية والتعليم:

كان تراثنا هو الدعامة الكبرى لحضارة الإسلام التي تفرَّدت بمزايا في نشأتها، كما تفرَّدت بمن يُجُدَّدها لاستمرارها، وكانت الخطوة المنطقية بعد زوال الاحتلال العسكري تطبيق تعاليم الإسلام وشريعته بدلًا من استيراد النظم من الشرق والغرب، فأدَّت بنا إلى الأزمات الاقتصادية

---

(١) عبد المجيد بن مسعود «القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر» (ص١٧٠) كتاب «الأمة» -قطر العدد ٦٧ رمضان ١٤١٩هـ- يناير ١٩٩٩م.

والسياسية والهزائم العسكرية وصرنا إلى ما نحن عليه!

وكان من البديهي أيضًا أن يعود التراث ليحتل مكانه الصحيح في الدراسات الجامعية ومناهج التربية والتعليم، ولكن مما يثير الأسى، أنه أُزيح عن الساحة، وحلت محلّه مناهج الغرب وثقافته -وعلى رأسها الفلسفة الغربية بمذاهبها اليونانية- في العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة- فأوقعت في شباكها الكثير من الضحايا، أشهرهم الدكتور/ زكي نجيب محمود -كما سنوضّح- ولكن أدركته العناية الإلهية فعاد إلى أصله، ولا يدري إلّا الله عَزَّوَجَلَّ كم من الضحايا ساروا في طريق التغريب حتى النهاية!.

المحافظة على ذاتية الأمة:

□ يقول الدكتور/ أبو الوفا التفتازاني: «إن دراسات التراث -وهذه حقيقة نؤمن بها- من شأنها دائمًا أن تجدّد للمجتمع شاطه الفكري، وتشعره بشخصيته المستقلة المتميزة، وتضيء أمامه السبيل، فتتضح لأفراده الرؤية في حاضرهم ومستقبلهم على السواء، وتمدّهم بطاقات روحية خلّاقة لا حدَّ لها خصوصًا في مجال الأخلاق والتهذيب الروحي للأفراد الذي هو أساس لازم لكل تقدم اجتماعي سليم»[1].

وأضيف إلى ذلك أن كتاب «صلاح الأمة في علو الهمة»-بمنهجه الانتقائي لخلاصة التراث الإسلامي الرائع- يرتفع بروحنا المعنوية ويعيد إلينا الثقة بالنفس بل الفخر بحضارتنا، ويجذبنا جذبًا شديدًا لمحاولة

---

(١) مجلة «الجمعية الفلسفية المصرية» (ص٣٣) العدد الرابع -السنة الرابعة يناير ١٩٩٦م.

الاقتداء بأصحاب الهمم العالية، فهل نحن فاعلون؟

إننا نستطيع لو طبّقنا قيم الإسلام أن نلقم خصومه حجرًا، ونكمِّل به النقص الذي تفتقده حضارة العصر، ففيه الخير كله ويستحق تقديره حق قدره لا معاداته والإساءة إليه.

ولكن ينبغي الاعتراف بأننا نتحمَّل بعض المسئولية -فالإنسان عدوّ ما جهل- لأننا لم نحسن تطبيقه عمليًّا بالشكل الراقي الذي يستحقه، ومن ثمَّ يصبح جاذبًا للآخرين، ويزيل الصورة النمطية المشوَّهة، التي دأبت أجهزة الإعلام الغربية على نشرها وتكرارها، ويكفينا فخرًا احتواء الإسلام على منظومة أخلاقية لم تعرف البشرية لها مثيلًا.

□ يقول الأستاذ محمد أسد المهتدي للإسلام (وكان يهوديًّا): «فما استطاعت الإنسانية حتى الآن أن تفرز نظامًا أخلاقيًّا يضاهي المنظومة الأخلاقية الإسلامية.

وما استطاع نظام فكري كائنًا ما كان أن يضع **مفهومًا وتطبيقًا لمعنى** الأخوَّة الإنسانية التي تسمو فوق القوميَّات **والوطنيَّات كما وصفها** الإسلام في مفهومه لمبدأ «الأمة»، أضف إلى ذلك **ما يُقدِّمه الإسلام مِن** تصوُّرٍ للمجتمع الذي تسود فيه الأخوَّة، مع دعم **كرامة الإنسان وتوفير** إحساسه بالأمان، والأمل الروحي، وأخيرًا **وليس آخرًا تحقيق** السعادة»[1].

---

(١) د/ صفوت مصطفى خليلوفيتش «الإسلام والغرب- رؤية محمد أسد» (ص٧٧) ترجمة من البوسنية إلى الانجليزية محمد باشا بيجوفيتش، ومن الإنجليزية إلى العربية د/ هدير أبو النجا- ط دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

مجابهة حملات تشويه الإسلام التي استفحلت في الوقت الراهن:

إن أبواق العداء للإسلام في هذا العصر قد علا صوتها بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، وهو الدين الوحيد دون غيره من الأديان الموضوع في قفص الاتهام، الموصوف بأسوأ الصفات، من أناس أعماهم الحقد، ووضعوا على أعينهم غشاوة فأعمت أبصارهم، **على حين لو سعوْا لمعرفته على الحقيقة، ومصادر التراث الإسلامي أكثر من تحصى، وقد جمعها كتاب «صلاح الأمَّة في علو الهمة» في صورة مركزة، ولكن شاملة، لو فعلوا لصحّحوا مواقفهم إذا خلصت النوايا.**

وتجرى عملية تشويه الإسلام على قدم وساق في أجهزة الإعلام في الغرب استمرار للعداء المتوارث منذ الحروب الصليبية.

□ تقول كارين أرمسترونج عالمة مقارنة الأديان: «وفي يومنا هذا تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل «حنق الإسلام» و«سيف الإسلام»،و«الحنق المقدس»، و«الرعب المقدس» لكن هذا تشويه للحقيقة»[١].

وبلغ العداء غايته القصوى على أثر «خدعة» ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، واتخذت ذريعة لغزو أفغانستان، ثم العراق، ورفع كبيرهم شعاريْ «حرب الإرهاب»، و«عالم الشر» عن جهل وتعصب وحقد!.

□ يقول جارودي: «وكانت حرب تدمير العراق سنة ١٩٩٢ بمثابة

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص٢٤٧) ترجمة د/ فاطمة نصر، د. محمد عناني (ط٢ سطور سنة ١٩٩٨م بالقاهرة، وتبدي دهشتها من تلقيب الإسلام في الغرب بدين السيف منذ العصور الوسطى، رغم أن المسيحيين كانوا يشنون حروبهم المقدسة الخاصة في الشرق الأوسط في ذلك الوقت!.

انجاز عمل المشاركة الاستعمارية الذي لم يهتدي فقط إلى إعادة إحدى دول العالم الثالث إلى عصر ما قبل الصناعة، لكن أيضًا إلى أَنْ يجعل هذا الحق نموذجًا للهيمنة الغربية تحت القيادة الأمريكية.. **إنه إنذار للعالم الثالث أجمع**: بفضل هذا النظام العالمي وريث النظام الاستعماري؛ فإن خُمْس سكان الأرض يتحكَّمون في أربعة أخماس ثروات كوكب الأرض، بما فيها البترول عصب النمو الغربي. يؤدي هذا النظام إلى مصرع ٦٠ مليون إنسان سنويًّا، بسبب الجوع وسوء التغذية.

يكبّد هذا «النظام العالمي» الجنوب يوميًّا ما يقارب ضحايا هيروشيما»[١].

ومع العجب، جاءت الخطط الجهنمية بأثر عكسي فرأينا ازدياد الداخلين في دين الله ﷻ بواسطة العقلاء، الباحثين عن الحق بإخلاص المتمررين من الخوف المرضي من الإسلام، هؤلاء اعتنقوا الإسلام عن طيب خاطر؛ فإن (١٦٣ أوروبيًّا يعلينون شهادة لا إله إلَّا الله وأن محمدًا ﷺ رسول الله يوميًّا، بحسب إحصائية المكتب الدولي للهجرة الدولية في فيينا!)»[٢].

---

(١) جارودي «حفَّارة القبور الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها» (ص٧) -دار الشروق بالقاهرة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٢) د/سعيد اللاوندي، مقال بعنوان «الإسلاموفوبيا» ومعاداة السامية: مقارنات واجبة، جريدة «الأهرام» القاهرية في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٤٢٧هـ- ٨مايو سنة ٢٠٠٦م، ومما قاله أيضًا: «فكل ما هو مسلم أو إسلامي أصبح يثير الخوف وترتعد منه فرائص سكان أوروبا وأمريكا.. و«إن خطر الإسلاموفوبيا زاحف نحونا وسوف تمتد أذرعها الأخطبوطية إلى داخل بلدانا لنفيق على اتهام قاس يلتصق بجلودنا وهو إننا إرهابيون.. لأننا مسلمون!!.

وهذا يدفعنا إلى دراسة قضيتين:

١- الجذور التاريخية للعداء للإسلام.

٢- حقيقة خدعة ١١ سبتمبر التي أصابت المسلمين بالأهوال وجدَّدت حملات الحروب الصليبية.

ولن يسعنا الصمود لمواجهتها إلَّا بالارتقاء إلى مستوى السلف - اعتقادًا وسلوكًا- وقد جابهوا ما هو أشد وأكثر هولًا، فَمَا ضعفوا وما استكانوا.

شروخ في جدار التغريب:

كانت حملة التغريب مكثَّفة وطاغية كما يتضح من عرض تاريخ إنشاء الجامعات المصرية، مما يجعلني لا أقلل من أثرها على أجيال مضت والبعض من مثقفي الجيل الحالي، ولكن أراني بصدد ظاهرة تستحق الدراسة، وهي تبشّر بانحسار موجة الترغيب واستعادة الأمة لعافيتها بالعودة إلى تراثها وكتاب **«صلاح الأمة في علو الهمّة» الذي بين أيدينا من المبشَّرات**، كما إنني أرصد هنا التحولَّات في أفكار بعض كبار علمائنا ومثقفينا، ونذكر منهم الدكتور/ زكي نجيب محمود، الذي انتهى بالانتماء إلى الاتجاه الإسلامي، وترك مؤلفات تصوّر هذا التحوّل، وتؤرِّخ لحياته العلمية منذ شبابه الباكر حتى المرحلة الأخيرة من عمره، وقد عنيت ببحث هذه الظاهرة بإيجاز، مع وضعها في حجمها القابل للاتّساع [1]؛

(١) ونقترح عمل دراسة شاملة لتسجيل ظاهرة رجوع بعض كبار مثقفينا، نذكر منهم:

١- د/ عبد الرحمن بدوي بكتابيْه: «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه»، و«دفاع عن محمد ﷺ ضد منتقصي قدره».

=

ولهذا حرصت على اختيار العنوان المناسب الذي يصوّر الواقع.

إن تحوَّل الدكتور زكي نجيب محمود من الاتجاه التغريبي إلى احتضان الإسلام والدفاع عنه، وبيان محاسنه والاقتناع بأنه يقدم حلولًا لمشاكل العصر، هذا الموقف يذكِّرنا بمقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ المشهورة: «إنما تُنقض عرا الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[(١)].

رجوع الدكتور زكي نجيب محمود بعد خوضه لتجارب ثقافية حافلة:

إن كتاباته في نهاية حياته تمثل تحولًا ثقافيًّا له دلالته، حيث رجع إلى التراث الإسلامي، قارئًا ودارسًا وباحثًا فيه عن حلول لمشاكلنا ومشاكل العصر وتمهيدًا لهذا العرض المدخر لتحوَّله، فقد وصف نفسه أنه كان

٢- د/ عبد الوهاب المسيري.
٣- د/ عبد العزيز حموده.
٤- د/ محمد عمارة.
٥- د/ محمد حسين هيكل.
٦- خالد محمد خالد.
٧- منصور فهمي.
٨- د/ مصطفى محمود.
٩- الكاتب الصحفي الأستاذ محمد جلال كشك.
١٠-الدكتور طه حسين وإن لم يعلن رجوعه على الملأ.

ولا نغفل أن هناك هيئات غربية الصبغة، وهي تؤدي وظائفها بنشاط، كالمجلس الأعلى للثقافة، والمسارح، والسينما، ولها مؤتمراتها ومهرجاناتها وندواتها وبرامجها.

(١) د/ علي محمد الصلّابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁- شخصيته وعصره» (ص١٩) دار ابن كثير- دمشق- بيروت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

واحدًا من آلاف المثقفين العرب الذين ما أن فتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه؛ لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه.. ويقول: «ولبثتْ هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعوامًا بعد أعوام: الفكر الأوروبي دراسته وهو طالب، والفكر الأوروبي تدريسه وهو أستاذ، والفكر الأوروبي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلَّا أصداء مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين..

استيقظ صاحبنا -كاتب هذه الصفحات- بعد أن فات أوانه أو أوشك، فإذا هو يحس الحيرة تؤرقه، فطفق في بضعة الأعوام الأخيرة، التي قد لا تزيد على السبعة أو الثمانية يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان»[1].

ووصف الجماعة المستغربة بأنها تنظر إلى الأمور بعين أوروبية أو أمريكية، ولكنها تكتب باللغة العربية، وقد تمثلت ثقافة الغرب وعرضته بأسلوب حي فيه روحها وشخصيتها[2].

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» (ص٥-٦)-دار الشروق- القاهرة ١٩٨٢م. ويقول في مقدمة كتابه «عن الحرية أتحدث» [والمطلوب هو عودة الضال إلى طريق آبائه، وليس من شك في أن الأصيل عائد إلى أصله كما يكون للشمس شروق جديد بعد كل غروب، وبالله التوفيق» (ص٧) ط دار الشروق نوفمبر سنة ١٩٨٦.

(٢) د/ زكي نجيب محمود «ثقافتنا في مواجهة العصر» (ص١٦) -دار الشروق يناير ١٩٧٦م.

ووصف الحضارة الغربية بأنها غازية غالبة متسلّطة [١] كما حكم على عصرنا بأنه أدى بشبابه إلى حالة من التمزق والتفسخ والضياع، ثم تقدم مقترحًا الحل بقوله: «فلو استطعنا نحن أن نقدم للعالم مجموعة متسقة الأجزاء من القيم الهادية للإنسان على طريق الحياة، كان هذا دورنا في بناء الحضارة المعاصرة»[٢].

ويقدّم منظومة من القيم، لم تعرف بها أمة كما عرفنا ويعني بها القيم المتمثلة في أسماء الله الحسنى، وتوجه مجرى الحياة إلى أهداف تليق بالإنسان كما تصوره الثقافة الإسلامية العربية «هي صفات تكون مطلقة بالنسبة إلى الله سبحانه، ومنقوصة متدرجة نحو الكمال بالنسبة إلى الإنسان [٣]، فلو استطعنا – **عن طريق التربية بصفة خاصة، وعن طريق**

---

(١) نفسه (ص٣٠).

(٢) نفسه (ص٩١).

(٣) يبدو أن الدكتور زكي نجيب محمود تأثر بعبارة من قال: «يتخلّق بأسماء الله»، وهي في رأي الإمام ابن القيم ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبيه بالإله على قدر الطاقة.. وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمّن للتعبد والسؤال، وعلى هذا يكون الدعاء من العبادات التي توظف كل اسم بمقتضاه حيث يدعو الداعي بالاسم الذي يلائم الطلب والمسألة، ويتوسل إلى الله بذكر هذه الأسماء وما تضمنته من كمال الأوصاف وجلالها «ابن القيم: بدائع الفوائد».

وقد اختلف العلماء في معنى الإحصاء الوارد بحديث الرسول ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلّا واحدة من أحصاها دخل الجنة» متفق عليه، واختار الإمام ابن القيم إن الإحصاء على ثلاثة مراتب هي:

١- إحصاء ألفاظها وعددها.

٢- فهم معانيها ومدلولها.

٣- دعاؤه بها.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «الفتاوى»: «وليس معنى أحصاها أن تكتب في رقاع ثم

الفكر والنشر بصفة عامة- لو استطعنا ألا نجعلها مجرد ألفاظ نرددها على حبات المسابح، بل نجعل منها معايير حية نابضة نترسمها ونهتدي بهديها، إذن لكانت بين أيدينا منظومة منسقة كاملة من القيم التي تضاف إلى دنيا الواقع فتخرج الإنسان الكامل المتكامل، من وجهة نظر إسلامية، وفي ظروف هذا العصر، عصر العلم والصناعة»(١).

وتوطئةً لاقتراحه العمل بهذه القيم يقرر أولًا: بأن الفكر لا يستحق أن يكون فكرًا بمعناه الصحيح، إلَّا إذا رسم الطريق المؤدي إلى التغيير، وهي حقيقة التقت عندها كل مذاهب العصر (٢)، ثم يسأل «وهل في هذا

تكرر حتى تحفظ، ولكن معنى ذلك:

أولًا: الإحاطة بها لفظًا.

ثانيًا: فهمها معنى.

ثالثًا: التعبد لله بمقتضاها ولذلك وجهان:

الوجه الأول: أن تدعو الله بها لقوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي بل هذا يشبه الاستهزاء بل تقول: أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جليًّا لرحمة الله، هذا هو معنى أحصاها، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة.

يُنظر كتاب «المُجَلَّى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين» تأليف كاملة الكواري (ص١٣٨- ١٣٩). دار ابن حزم - بيروت ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(١) نفسه (ص٨٩).

(٢) نفسه (ص٥١).

الذي يتطلبه منا العصر شيء جديد كل الجدّة على ما ورثناه عن تراثنا الفكري من مبادئ؟

إن القرآن الكريم كلما وجّه الخطاب إلى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أضاف إلى ذلك قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[(١)].

✍ كأنَّ الإيمان لا يكون إيمانًا كاملًا إلَّا إذا اقترن بالعمل الصالح، وصلاحية العمل إنما تكون بالنسبة إلى الهدف المنشود.. فالسياسي لا يكون صالحًا إلَّا إذا رسم لقومه خطة للعمل الناجح، والاقتصادي لا يكون صالحًا إلَّا إذا عرف الطريق الذي سينقذنا من التخلف، وهكذا، كل هؤلاء عاملون للصالحات -التي وإن بدت بدنيا الناس- فهي الطريق إلى مرضاة الله[(٢)].

تقتضي المرحلة الراهنة الانتماء الصحيح إلى منابعنا:

في إحدى مقالات الدكتور/ زكي نجيب محمود يعالج قضية ضرورة الانتماء إلى منابعنا فيبدأ بالتقييم التاريخي لطريقنا الفكري منذ الغزو الاستعماري ويقسِّمه إلى مرحلتين:

الأولى: منذ جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م.

وكنا في هذه المرحلة على صلة وثيقة بما ينتجه الغرب من علم وأدب وفن، وكان أعلام هذه المرحلة يسرفون بالتباهي بثقافة الغرب وحضارته، وكان الصوت الأعلى هو لأصحاب الثقافة المنقولة عن الغرب، وكان الشعور بالنقص هو نصيب من درس الكنز الموروث مكتفيًا به، وهو

---

(١) نفسه (ص٥٣).

(٢) نفسه (ص٥٣).

موقف فيه هزال المريض، وضعف الذليل، لا سيما إذا تذكرنا **أن بلادنا في قبضة المستعمر، الذي هو صاحب تلك الثقافة، التي ينقلها ناقلوها ثم يفاخرون الناس بما نقلوا**»[1].

الثانية: وهي التي نحياها اليوم وتتميز بإصرارنا على تحقيق **ذواتنا بالانتماء الصحيح إلى منابعنا**، ولكن العيب في أبناء هذه المرحلة – في رأيه- إنهم لا يريدون أن يسمعوا إلَّا صوتًا واحدًا، ويتمثل بسؤال وجهه شاب إلى الدكتور/ زكي نجيب وصيغته «ألا يكفينا إسلامنا ويغنينا عن الغرب بكل ما فيه؟» ودُهش للسؤال، وكانت إجابته تتلخص في أن من دعائم هذا العصر وحضارته هو العلم بقوانين الطبيعة في مختلف ظواهرها، وقد حض الإسلام على طلب العلم.

بدليل إنه بالرجوع إلى معجم القرآن الكريم يتضح إن لفظ «العلم» ومشتقاته جاء فيما يزيد على سبعين صورة من الألفاظ الدالة على العلم» في آيات القرآن الكريم «فإذا ضممنا هذا القدر الهائل إلى قدر هائل آخر عن مادة «فكر» وما يشتق منها علميًّا، فإننا أمام كتاب جعل للعلم والفكر منزلة هيهات أن تجد لهما منزلة أعلى منها في أي مصدر آخر، إنه لم يرد للإنسان علمًا مجرد العلم بل أراد له «رسوخًا» فيه، وهداه إلى وجوب التفرقة بين العلم والظن»[2].

ويرى الدكتور زكي نجيب أن هناك من الآيات القرآنية التي تحض

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص١٣٦) ويستطرد قائلًا بصراحة تامة: «ولقد كنتُ لفترة طويلة واحدًا من أولئك الذين ضلوا سبيل الحق في هذا الصدد، فبالغت كما بالغوا، حتى أراد لي الله رؤية أهدى».

(٢) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص١٣٩).

المسلم على التفكر في خلق السموات والأرض، ولكنه مطالب بعدم الوقوف عند التلاوة وحدها مجردة عن التنفيذ، بل يجب التنفيذ لمضامينها للظفر بالعلم المطلوب، ويقول: «فانظر إلى النقلة الكبرى التي نتعلمها إذا نحن قرأنا كتاب الله قراءة نقفز بها إلى آفاق العمل والتطبيق»(١).

إنه يضع شرطًا ضروريًّا لقراءة القرآن الكريم لتؤدي إلى النتائج التي حققها السلف الذين قاموا بتنفيذ أمر الله تعالى بالتفكير في خلق السموات والأرض «ولقد اضطلع السلف بكثير من التفكير في الكون وكائناته وظواهره: فكان منهم علماء الفلك وعلماء الطب وعلماء الكيمياء وعلماء الطبيعة في هذه الظاهرة أو تلك، كما كان منهم علماء الحيوان وعلماء الطبيعة»(٢).

أما عن صلة المسلمين بحضارة العصر، فإنه يبسط الفكرة ويغذيها بمن سمّاه «المسلم الجديد»، و«المسلم القديم»، فإن المسلم الجديد مطالب كما طولب المسلم القديم بالتصدي لعلوم عصره، «إنه مطالب بقراءة الكون فيما يعرضه أمام حواسنا من صفحات، لكنها صفحات كتبت بلغة الصوت والضوء والمغناطيسية والكهرباء..»(٣).

ويرسم الطريق للمسلم فيرى أن الانطلاق من كتاب الله ﷻ يجعله يشارك بقوته التي يستمدُّها منه في هذه الحضارة «مشاركة الأنداد فتكون له السيادة كما كانت لأسلافه»(٤).

---

(١) نفسه (ص١٤١).
(٢) زكي نجيب محمود «عن الحرية أتحدث» (ص٨٨).
(٣) د/ زكي نجيب محمود «عن الحرية أتحدث» (ص٨١).
(٤) نفسه (ص٩٠).

وحجته في هذا أن الإسلام أراد للمسلم أن يكون قويًّا، وعصرنا قوته في علومه، ومن واجب المسلم الجديد ألا يكتفي بنقل علوم الآخرين، «بل نصيبه من البحث العلمي الأصيل الذي يقدمه إلى الدنيا قائلًا: هاأنذا»[١].

الرد على العلمانيين:

كيف أنشأ الإسلام دولة مكتملة المعالم والمقوِّمات:

يعرِّف الدكتور/ زكي نجيب محمود الإسلام من حيث هو دين: «له أركانه الخمسة التي يعرفها كل مسلم ويلتزمها كل مسلم»، فهو يؤكد فكرة الالتزام بأركانه، ومن حيث شريعة له أحكامه التي يفصلها لنا علماء الفقه، فنعتز بها أحكامًا تضبط مناشط حياتنا، أي: أنه لا يقتصر على العبارات فحسب»[٢].

وقد توسع في عرض تنظيم الدولة في الإسلام فذكر القطاع الحربي وفيه «أمراء القتال وجنده»، وكتاب الجيش، وفارضو العطاء، والعرفاء رؤساء الجند.. إلخ.

وعلى النواحي كان هناك ولاة وأمراء الأقاليم، وفيها كان القضاة وعمال الجباية والخراج.. والقائم على الحمى.. وصاحب المساحة، وعمال الزكاة والصدقات، والخارصون للثمار، كما كان هناك «فارضو المواريث».. و«فارضو النفقات..» إلخ.

---

(١) نفسه (ص٩٠).

(٢) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص١٧٢) مكتبة الأسرة بالقاهرة سنة ١٩٩٩- دار الشروق.

كذلك كان هناك من يقوم بهمة «المحتسب» و«صاحب العسس»، و«متولي حراسة المدينة»، و«العين: الجاسوس.. و«السجان» و«المنادي»، و«مقيم الحدود» و«متولي التطبيب والعلاج».. إلخ.

وعند الغزو،كان هناك «أمراء الجهاد» و«المستخلفون على المدينة»، ومن «يستنفر الناس للقتال»، و«صاحب السلاح» و«صاحب اللواء»، و«أمراء أقسام الجيش الخمسة»، و«حراس القائد» عليه الصلاة والسلام «والقائمون على متاع السفر»، ومن «يخذّلون الأعداء»، ومن «يبشرون بالنصر» إلخ إلخ.

ويبدو من اطلاعه الواسع على كتب التراث، إنه استخرج مثل هذه الوظائف من بطون الكتب، وربما كدنا ننساها بسبب غياب تطبيق الشريعة، ويظهر من التعقيب على كل وظيفة بكلمة (إلخ.. إلخ)- وكان حريصًا على أن يذيِّل بها الوظائف ليعرف القارئ أنه اختصر في عرضها، ولم يتحدث إلَّا على أهمها، إذ يستطرد قائلًا: «وكثير من هذه الوظائف الإدارية كان لها أربابها الذين عينهم الرسول ﷺ فيها ابتداء..

فنحن أمام «دولة» اكتملت لها المعالم والمقوِّمات.. نشأت كضرورة اقتضاها الدفاع عن حرية العقيدة الجديدة وحرية الدعوة والدعاة للدين الجديد.. وكضرورة لإقامة شريعة الإسلام، وتنظيم المجتمع الذي قام بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ»[(١)].

ونراه قد أجاد في تصور الجهاد في الإسلام لتحقيق الحرية للناس في

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «عن الحرية أتحدث» (ص٤٦/ ٤٧)- دار الشروق بالقاهرة نوفمبر سنة ١٩٨٦م.

اعتناق الإسلام أمام قوى البطش التي تريد استعباد الشعوب، وإذلالها لتحول بينهم وبين اختيار العقيدة التي تحقق لها القيم والفضائل والحياة الإنسانية الطيِّبة، ولا نستبعد أنه استوحى مثل هذا التصور من اطلاعه الواسع، وقد سبقه إلى هذا التفسير أيضًا المهتدي للإسلام «محمد أسد» إذ علَّل الفتوحات الإسلامية بقوله: «ولم يكن يحفز المجاهدين الأوليين إلى الجهاد طمع في خفض من العيش ورخائه على حساب الناس الآخرين، ولم يقصد منه إلَّا بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن للإنسان من ارتقاء روحي، كما أن العلم بالفضيلة حسب تعليم الإسلام يفرض على الإنسان تبعة العمل بالفضائل.

ويستطرد قائلًا: «فإن الفضيلة -كما يقول الإسلام- تحيا إذا جاهد الإنسان لبسط سلطانها على الأرض وتموت إذا خذلها وتقاعد عن نصرتها»[1].

□ ونعود للدكتور زكي نجيب محمود الذي يتساءل بعد عرضه للدولة الإسلامية «فهل هناك، بعد هذا الذي قدَّمنا مجال لزعم علماني يدَّعي أصحابه أن الإسلام: «دين» لا «دولة» ورسالة روحية محضة، لا علاقة لها بسياسة المجتمع.. وأن رسوله ﷺ ما كان إلَّا رسولًا، كالذين سبقوه، لم يقم دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يسس المجتمع الذي عاش فيه؟؟!.. ثم يقرّر بحسم وقطع: «لا نظن أن هناك مجالًا لزعم الذين أجهدوا الحقيقة ليقرروا «**علمانية الإسلام**».

---

(١) محمد أسد «الإسلام على مفترق الطرق» (ص٢٩) نقلًا عن: الإمام أبو الحسن الندوي بكتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (ص١٢١) دار الكتاب العربي بيروت (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

ولا يفوتنا أيضًا تسجيل رأيه في دولة الإسلام حيث تتميز عن «دولة الكهانة» و«الدولة الدينية» التي عرفتها الحضارات غير الإسلامية، تستبد بها فئة خاصة بزعم أنها مفوضة للحكم بالحق الإلهي [(١)].

□ ويستشهد في ذلك بحرب الردة أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليستخلص منها أن وجود «دولة الخلافة يومئذٍ»- كانت ضرورة مدنية وواجب سياسي- كان السبيل لتنظيم «الزكاة» التي هي واجب ديني، وركن من أركان الإسلام الدين.. وهذا هو المعنى الحقيقي والعميق لعبارة أبي بكر، التي حسمت الحوار الذي دار حول مشروعية قتال هؤلاء المرتدين عن وحدة الدولة الإسلامية: إن الزكاة هي حق لا إله إلَّا الله. «والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ -لقاتلتهم عليه.. وبهذا المنطق، الذي ربط به أبو بكر بين «الدين» و«الدولة» شرح الله صدر عمر بن الخطاب لرأي الصديق رضي الله عنهما في هذا الموضوع الخطير.

□ ويستطرد الدكتور زكي نجيب محمود ليقطع برأي حاسم أمام الذين يخلطون بين الحكومة في الإسلام، والحكومة الدينية التي عرفها الغرب في العصور الوسطى، فيقول: «بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا: إن وجود **«دولة الخلافة»** التي حماها الصحابة ودعموها بقتالهم للمرتدين رغم طابعها المدني، وانتفاء وصف «الواجب الديني» والفريضة الدينية، والدولة الدينية عنها -إن وجودها كان السبيل لما هو أكثر من إقامة «فريضة الزكاة الدينية» كركن من أركان الدين.. إذ أنها كانت السبيل لإقامة الإسلام كله كدين.. **«فالدولة»** هي التي نشرت الإسلام خارج

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «عن الحرية أتحدث» (ص٤٧).

شبه الجزيرة. بعد أن أعادت رفع أعلامه التي طواها العرب المرتدون.. ولولاها لتهددت الإسلام مخاطر أن يصبح مجرد نحلة من النحل التي عرفها التاريخ، أو ديانة يقف شرف التدين بها عند قلة من الناس.. لقد كانت هذه «الدولة» هي الأداة التي تحقق بها وعد الله سبحانه في قرآنه الكريم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر][(١)].

□ ولم يقف به التصور الإسلامي الشامل إلى بيان صلة الإسلام بنظام الحكم وإقامة العدل، بل امتد ليشمل تحقيقه لرغبات الإنسان في شُعَب الحياة الإنسانية، فإنه انتهز فرصة لإلقاء محاضرة عن الإسلام في إحدى جامعات أمريكا، وكان يعلم مسبقًا بجهل الأمريكيين بالإسلام مقرونًا في أنفسهم بشعور يميل بهم نحو الحكم الظالم.

وقد استخدم رَحِمَهُ اللَّهُ حيلة بارعة في تقديم محاضرته، فلم يصرّح في بدايتها إنه سيتحدث عن الإسلام –لأنه يعرف شعورهم نحوه، بل أخذ- كما يقول: «أرسم لهم صورة ثقافية حضارية نتمنى جميعًا أن تتجه الإنسانية إلى تحقيقها، فما هي صورة الإنسان الفرد كما نريد له جميعًا أن يكون؛ وما هي صورة الروابط التي نتمناها جميعًا أن تربط الأفراد في المجتمع؟

وهكذا مضيت في حديثي معهم، وكأن موضوعنا هو **مستقبل الإنسان ومستقبل الثقافة ومستقبل الحضارة** حتى إذا ما بلغت بحديثي حدًّا ظهر منهم بالموافقة والرضى، قلت لهم:

لكن هذه الصورة التي رسمتها لكم أيها السيدات والسادة **هي صورة**

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «عن الحرية أتحدث» (ص٤٩).

الإسلام!!

فقال أحدهم قولًا شديد الشبه بما قاله مسيو جوردان لمعلّمه في مسرحية «موليير»- قال: أكنا إذن طوال زمانا مسلمين ونحن لا ندري؟»[١].

ويضفي على العقيدة أهميتها الخاصة كأداة مقاومة في الحرب مع إسرائيل، إذ يرى أن قوة العقيدة لا تقل شأنًا عن قوة الجيش والطيران والأسطول وقوة السلاح الذري وغير الذري من نتاج العلم التكنولوجي الجديد، فإذا وازنَّا بين طرفين أحدهما هو قوة الوسائل المادية، والآخر هو قوة العقائد والأفكار، كان السداد في اختيار الطريق الثاني.. «هذه هي حركة التاريخ، لن يشذَّ فيها صراع الأمة العربية مع إسرائيل»[٢].

□ ولنقارن بالتصور الإسلامي للإنسان في الفكر الإسلامي يقول د/ زكي نجيب محمود: «وأما عن حياة الروح.. فأهم ما يرد عنها الخاطر، هو عبادة الله جل شأنه، وعلى الرغم من أن العبادة في معظم أركانها تعتمد على الجسد، فالشهادة ينطق بها اللسان، ومعه سائر أجزاء الجهاز الصوتي،

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص٣٦٨).

(٢) د/ زكي نجيب محمود «ثقافتنا في مواجهة العصر» (ص٣١٩)، ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن هناك تشابهًا بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فكلتاهما أرادت أن تنزع شعبًا من أرضه لتأخذ مكانه، وفي ذلك أفلحت أمريكا بالفعل- وفي ذلك أيضًا أرادت إسرائيل أن تفلح.

كذلك يؤيد الرأي القائل بأن الاستعمار الأمريكي الجديد الذي حل محل الاستعمار بصورته الكلاسيكية ولكنه استحدث لنفسه أساليب جديدة ينفذ بها إلى الشعوب الأسيوية والأفريقية، وذلك عن طريق السيطرة الاقتصادية والعقلية والجسمية، بواسطة مجموعة صغيرة، ولكنها دخيلة، نفس المصدر (ص٣١٧).

والصلاة وقوف وركوع وسجود ونطق، والحج طواف ووقفة على عرفات وعبارات تقال ورمي للجمرات.. إلخ. وكلها يؤديها الجسد، أقول: إنه على الرغم من أن الجسد أداة ضرورية لأداء العبادات إلَّا أنه في ذلك مجرد أداة، وأما الغاية فهي شأن الروح التي لا يعرف أمرها وسرها إلَّا ربها[(١)].

يضفي الإسلام على الحياة المعنى المفتقد في حضارة الغرب:

وفي وصفه لأهل الغرب، يرى أنهم يسعون بلا هدف نهائي وهدفهم الحاضر هو تحصيل لقمة العيش، ومع التقدم العلمي الذي أنتج الآلات ربما سأل سائل «وماذا جناه الإنسان من علم وآلاته؟»،

وفي غياب الإجابة نشأ في أهل الغرب ما نشأ من قلق ومن شعور بالاغتراب «لأن الواحد منهم يحس، وكأنه انسلخ عن ذات نفسه ليصنع أشياء الآخرين»[(٢)].

□ وقد أسهمت المذاهب الفلسفية المعاصرة في الإحساس بالقلق، إذ لها اتجاهان:

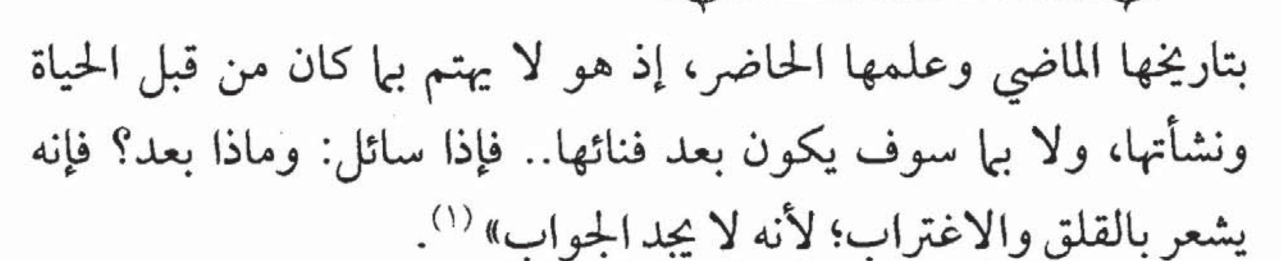
الأول: ينصب على العلم في بنيته ومنهجه.

والثاني: يصب اهتمامه على حياة الإنسان نفسها.

«وكلا الاتجاهين -كما نرى- لا يفسح مكانًا لما هو وراء هذه الحياة

(١) د/زكي نجيب محمود «في مفترق الطرق» (ص٤٥) ط الشروق ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص١٣١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة -مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م.



بتاريخها الماضي وعلمها الحاضر، إذ هو لا يهتم بما كان من قبل الحياة ونشأتها، ولا بما سوف يكون بعد فنائها.. فإذا سائل: وماذا بعد؟ فإنه يشعر بالقلق والاغتراب؛ لأنه لا يجد الجواب»[1].

□ ويقول الدكتور/ زكي نجيب محمود «لكن المسلمين عندهم في ديانتهم الجواب، فالصورة في عقيدتهم الدينية لما سوف يكون بعد فناء الأرض وما عليها ومن عليها صورة واضحة بكل تفصيلاتها، فهنالك البعث والنشور، وهنالك الحساب وهنالك الثواب والعقاب.. وهنالك العدالة بأدق موازينها»[2].

ولم يفته أيضًا الإجابة عن سؤال آخر، وهو «قيم الحياة وشقاؤها»؟ فيجيب «إنك تحيا بأمر الله وتعمل طاعةً لله، وسيكون يوم الحساب موعدًا لإقامة العدل فيما قدمت يداك، وبهذا تنتفي دواعي القلق والاغتراب، وغير ذلك من الحصاد المرّ الذي تغص به حلوق المعاصرين»[3].

وبهذه الإجابة الواضحة يضيف المسلمون إلى حضارة العصر معنى الحياة، ويقول: «إننا لا نرفض العصر، بل نضيف إليه ما ينقصه»[4].

الفروق بين الدين والفلسفة:

✍ ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن الفروق بين الدين والفلسفة واسعة وعميقة، ويعدّد أوجه الخلاف بينهما، فهو اختلاف في المصدر، إذ الدين مصدره وحي يوحي إلى نبيٍّ أو رسول، وأما الفلسفة فهي قائمة

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «ثيم من التراث» (ص١٣٢).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

على رؤى يحدسها إنسان من البشر.. واختلاف أيضًا بينهما في الوظيفة، فالدين منظومة من العقائد والشرائع والعبادات والمبادئ، يتكون منها خطة حياة هنا في هذه الدنيا، وتمهد للحياة الآخرة يوم يكون الحساب.. بينما الفلسفة تصب فاعليتها على ظاهرة معينة لتكشف عن طبيعتها أولًا، وعن علاقاتها ببقيّة الظواهر ثانيًا..»[(١)].

□ ويقول في موضع آخر: «فبينما تتعدد البناءات الفلسفية بتعدد الفلاسفة، يظل البناء الديني واحدًا لوحدانية الموحي به والمحوى إليه، وإذا جعلنا حديثنا هنا مقصورًا على الإسلام، قلنا: إن شهادة ألا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله تتضمَّن فيما تتضمنه، وحدانية من أوحى بالدين ومن نزل عليه الوحي، وذلك يستتبع أن يظل البناء الديني عند المؤمنين به واحدًا عند الجميع»[(٢)].

□ وبعد أن يستطرد بشرح أوجه الخلاف بين الدين والفلسفة يقرر في نهاية المطاف حكمه النهائي بقوله: «**إنه الخلط الفكري الذي رُزئنا به في حياتنا الثقافية، حتى أصبحنا وكأننا في تلك الحياة نخوض في عماءٍ فوقه سحاب أدكن، ويكتنفه ضباب قاتم كثيف**»[(٣)].

قد أصاب بهذا الحكم على الفلسفة فهي عاجزة عن تحقيق حياة واقعية

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص١٢١- ١٢٢) باختصار مكتبة الأسرة (سنة ١٩٩٩).

(٢) نفسه (ص١٢٠).

(٣) نفسه (ص١٢٣)، وكان في أول المقال قد أبدى دهشته إذ رأى بين صفوة المثقفين من يحب الدين فلسفة ومن يحب الفلسفة دينًا (ص١١٥)، وعنوان المقال «الفلسفة شيء والدين شيء آخر».

فاضلة، إذ أنه لا بديل عن الدين في تنظيم حياتنا.

هذا، وقد حجبت الفلسفة الغربية قديمًا وحديثًا بمناهجها ومدارسها وروادها، حجبت الإسلام -بمصدريه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ- عن الأجيال تلو الأجيال منذ عصر الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، وهم آلاف المثقفين «الذين ما أن فتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت على خواطرهم ظنون بأن ذلك هو **الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه؛ لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه**»(١).

وتاريخ إدخال الفلسفة الغربية القديمة والوسطى والحديثة إلى جامعاتنا ينمُّ عن إحدى أدوات التغريب لشباب المسلمين، لسلخهم من هويتهم الإسلامية وجعل ولائهم الفكري تابعًا للغرب، وقد نجح الغرب في تحقيق غرضه إلى أبعد حد، فإن واقعنا المتمثل في مناهج التعليم، وجهل أغلب أبنائنا بتراثهم الإسلامي، دليل ساطع على نجاحه.

◻ يقول فنسامي مونتاي الفرنسي -المهتدي للإسلام-: «إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني، كمثل رجل أُفرِغَ من دمه»(٢).

✍ وفي الختام، نرى أن آراء الدكتور زكي نجيب محمود اتسمت بدقة الملاحظة والصراحة والحرص على متابعة واقع الحياة ببلادنا، لتصحيح ما يراه من انحرافات ربما تخفي عن أعين الكثيرين ولعل أبرزها ما لاحظه في

---

(١) د/ زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» (ص٥- ٦) -دار الشروق- القاهرة ١٩٨٢م.

(٢) مجدي الهلالي «تحقيق الوصال بين القلب والقرآن» (ص١٢٢)- مؤسسة اقرأ - القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

البلاد النامية من المفارقات بين القول والعمل، وقد تجسَّدت الظاهرة في هذه البلاد التي ظفرت بحريتها وتولى الحكم فيه حكومة من أبنائها بعد أن كانت في أيدي أجانب غاصبين، وأخذ يصف الحكام الوطنيين بقوله: «قد تذهلهم السلطة التي جاءت إليهم فجأة، بكل ما يتبعها من مكاسب، فتأخذهم خشية أن يكون هذا «العزّ» المفاجئ مصيره إلى زوال مفاجئ أيضًا.. فيحاولون جمع أكثر ما يمكن جمعه، وفي أقصر مدّة ممكنة، قبل أن يُباغَتوا بأحكام القدر. ومن هنا تراهم يقسِّمون حياتهم قسمين: أحدهما في العلن، والآخر في الخفاء، فيبشرون بكل ما يطيب وقعه على الأسماع، لكنهم من وراء ظهر المجتمع يكنزون ويكرّسون»[١] .

شهادة الدكتور طه حسين ورجوعه عن سابق أقواله:

كان مؤلف كتاب «دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة» قد وصف الدكتور طه حسين بأنه [داعية الحداثة المكافح][٢] ولكن يبدو أنه رجع في نهاية حياته وإن لم يصرّح بذلك على العلن كما كان يفعل في مواقفه السابقة، وقد نشر الشيخ محمود محمد شاكر -رحمه الله تعالى- شهادة الدكتور طه حسين التي تتضمن النقد لحضارة الغرب إذ رأى إنها حملت إلى عقولنا شرًّا غير قليل، ساخرًا من الذين قلَّدُوها تقليد القردة، مشفقًا على ضحايا الحضارة الحديثة الذين ظنوا أن التجديد في إماتة القديم، وقد وصف أحدهم بقوله: «ينفث السم ويفسد العقول ويمسخ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد»[٣] .

---

(١) «قيم من التراث» (ص٣٥٨).

(٢) دونالد مالكولم ريد «دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة» (ص٩٥) ترجمة إكرام يوسف مكتبة الأسرة بمصر سنة ٢٠٠٧م.

(٣) محمود محمد شاكر «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» (ص٢٤٥) كتاب الهلال -مصر =

وقد سجل الشيخ شاكر اعتراف الدكتور بتصحيح مواقفه السابقة، فقال: قد بيَّنت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه، **قد رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه، وببعض ما صارحني به بعد ذلك، وصارح به آخرين، من رجوعه عن هذه الأقوال؛ ولكنه لم يكتب شيئًا** صريحًا يتبرأ به مما قال أو كتب. وهكذا كانت عادة «**الأساتذة الكبار**»! **يخطئون في العلن، ويتبرؤون من خطئهم في السرّ**»[1].

نبذة عن نشأة الجامعات المصرية ودورها في حركة التغريب:

إن حركة إحياء التراث الإسلامي -وهو مرآة حضارتنا العظمى- تقتضي أن يحتل مكانته في الجامعات، ويتطلب تضافر الجهود والتخطيط وفق مناهج علمية تربوية لإزاحة الكم الهائل من آثار مناهج التغريب التي نبعت من جامعاتنا إذْ أُنشئت في الأغلب بواسطة المستشرقين الذين صبغوها بصبغة الثقافة الغربية، وعلى رأسها الفلسفة [2] واستمر تلاميذهم في أداء أدوارهم.

العدد ٤٨٩ صفر- سبتمبر سنة ١٩٩١م، وقد علق الشيخ شاكر على الشهادة بقوله: «وأخشى أن أقول إن هذه الصفة تشمل عامة المثقفين في زماننا هذا إلى سنة ١٩٧٧.

(١) نفسه (ص٢٤١).

(٢) بعد أن عرض الدكتور التفتازاني - رحمه الله تعالى- للصراع بين المذاهب الفلسفية، قال: «وهكذا ينقل الأساتذة الصراع الأجنبي حول الآراء والمذاهب الفلسفية إلى أرض العروبة والإسلام، وكان تخصيصهم الجامعي في هذا الميدان من الدراسات يُفرض عليهم فرضًا أنْ يغفلوا ذاتيتنا وتراثنا الفلسفي عند تقييم مادرسوه ويدرسون، لهذا ليس بدعًا أن نؤكد على ذاتيتنا بإزاء فكر العصر» بحث بعنوان: «منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصرة في الجامعة» (ص٣٦٥) مجلة «الجمعية الفلسفية المصرية» العدد الرابع -السنة الرابعة- يناير سنة ١٩٩٦م.

وقصة إنشاء جامعاتنا ودورها التغريبي العلماني تحتاج إلى دراسة مستقلة لنعرف مدى العبء الذي يجب أن يقوم به علماؤنا المخلصون لإزاحة الركام الثقافي الغربي الدخيل، ولكننا سنكتفي بسرد بعض الوقائع كلمحات نستخلص منها نتائج ذات مغزى.

□ يصف «دونالد مالكولم ريد» جامعة القاهرة عند إنشائها بأنها مؤسسة تعليمية تزهو بما تراه في نفسها من عصرية علمانية»[١].

وقد تولى المستشرقون وغيرهم من الأساتذة الأوروبيين إلقاء الكثير من المحاضرات في هذه المؤسسة الناشئة، وهي تشق طريقها بصعوبة في سنواتها الأولى، وكان بعضهم يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية والأدب العربي، وقد كرّس المستشرقون خبراتهم لخدمة الإمبراطورية الغربية [٢].

□ وقد قام كل من نالينو، وفيث، وماسينيون وكريزويل وسناوك وهرجرونج بمعاونة حكوماتهم على محاربة المسلمين أو السيطرة عليهم[٣].

وقامت جامعة فاروق «الإسكندرية حاليًا» بالتركيز على دراسة الحضارة الإغريقية، الرومانية والتاريخ الأوروبي الحديث [٤]، وكانت جامعة عين شمس تعكس أوضاع العصر باتباع بعض التوجهات

---

(١) «دونا لدمالكولم ريد» ترجمة إكرام يوسف «دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة» (ص٩٥) -مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٧م ويذكر أنَّ علمانيتها كانت بإرادة سعد زغلول (ص٦٢).

(٢) نفسه (ص٢٣)، (ص٦٤).

(٣) نفسه (ص٧٧).

(٤) نفسه (ص٢٠١).



الأمريكية [١].

ومنذ الخمسينيات فصاعدا، لقيت الجامعة الأمريكية اهتمامًا من الدوائر الرسمية المصرية والأمريكية معًا، وكان رئيسها السابق «جون بادو» عضوًا سابقًا في بعثة تبشيرية ويجيد الحديث بالعربية، وعاد المصريون الذين تخرجوا في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية إلى جامعة القاهرة حاملين في أذهانهم النموذج الأمريكي [٢].

□ ولكن أعين علماء الإسلام المخلصين كانت ترقب ما يدور داخل أروقة الجامعة، وهاجم النقاد -خاصة من الأزهر- طه حسين بسبب اقتباسه من الغربيين في أمور شديدة الصلة بالهوية الدينية والقومية، كما اتهموا المستشرقين بالتحالف مع الإرساليات التبشيرية لهدم الإسلام، ومن ثم استنكروا إقبال الجامعة على تعيين المستشرقين خلفائهم من المصريين الذين تدرَّبوا على أيديهم.

كما ثار جدال حول نفس القضية في عدة منابر هامة من بينها مجلة رشيد رضا «المنار» و«مجلة الأزهر» ومجمع اللغة العربية [٣].

□ ويقول مؤلف الكتاب في النهاية: «وخلال السنوات العشر الماضية كان كل من المؤيدين والمعارضين للحركة الإسلامية يتحدّثون أحيانًا كما لو كانت سوف تكتسح جميع ما في طريقها..

ولقد ذخرت الدراسات الغربية مؤخرًا بالحديث عن «الصحوة

---

(١) نفسه (ص٢٠٥).

(٢) نفسه (ص٢٨٩).

(٣) نفسه (ص٢٦٧).

الإسلامية» و«الأصولية الإسلامية»[(١)].

✍ وقد حرصت على تسجيل ما جذب انتباهي في تاريخ إنشاء جامعاتنا، لنعرف ما أُريد بنا، وكيف أصبحنا ولكن نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ بأن تباشير الصحوة الإسلامية تجعلنا ندرك كيف أفلتنا، ولكن مهمَّة إرشادها وترسيخ أقدامها في وسط الأجواء العدائية المحيطة بها ليست سهلة، والله المستعان.

حضارة الإسلام ظاهرة خارقة:

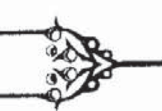
في دراسة محمد أسد لتاريخ الحضارات وأصولها يرى أننا لا ندري على وجه التحديد كيف تبدأ هذه الحضارات كلها على اختلافها وتنوعها، وإذا حاول المؤرخ أن يمتد نظره إلى ما وراء نضج حضارة ما واستقرائها فسوف يعجز عن أن يتبين توقيت ميلاد هذه الحضارة على وجه محدد ويرجع هذا العجز عن التقصي التاريخي راجع إلى إن الحضارات بوجه عام لا يمكن أن تُولَد كما يولد الأفراد.. فلا نستطيع مثلًا أن نحدد بدء الحضارة الغربية الحديثة، فإن كل ما ندريه عنها إنها تطورت شيئًا من حطام الحضارة الرومانية وامتزجت بدين شرقي هو المسيحية، بعد أن عدَّلته وحوَّرته طبقًا لحاجات الغرب واستعداداته وظروف حياته.

وليس هناك من العلماء من يستطيع أن يحددّ تحديدًا قاطعًا حقبة معينة من حقب التاريخ، أو حتى قرنًا بذاته ليقول هنا، وتحت هذه الظروف بدأت الحضارة الغربية[(٢)].

---

(١) «دونالد مالكولم ريد» ترجمة إكرام يوسف «دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة» (ص٤٠٢) –مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

(٢) «محمد أسد»، مقال بعنوان: «أصول حضارة الإسلام» (ص١٤٧) باختصار مجلة =



وتنسحب هذه الظاهرة على غيرها من الحضارات كحضارة الكلدانيين والبابليين والمصريين وحضارة إيران وآشور وعلى كل ما شاهد البشر من حضارات.

وبعد هذه الدراسة المستوعبة لنشأة الحضارات وتطورها، اكتشف الأستاذ محمد أسد إن حضارة الإسلام ظاهرة خارقة لا تخضع في النقد التاريخي لشيء من نواميس الحضارات وقوانينها.

□ فيقول: «فلقد انفردت حضارة الإسلام وحدها بانبجاثها إلى الحياة دون سابق عهد أو انتظار، وقد جمعت من فجر نشأتها كل المقوّمات الأساسية لحضارة مكتملة شاملة. فقامت في مجتمع واضح المعالم، له نظرته الخاصة إلى الحياة، وله نظامه التشريعي الكامل، وله نهجه المحدد لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع.. وهي وليدة حدث تاريخي فريد هو تنزيل القرآن الكريم، وكان مردّها إلى رجل فذّ في التاريخ – هو محمد رسول الله ﷺ– وأدرك أتباعه أن الدين الجديد الذي جاءهم به القرآن يتطلب منهم هجرة بائنة إلى ما جاءهم به عما توارثوه من عقائد في الحياة، وما ألفوه من مناهج السير فيها»[1].

ونضيف، بأن الأمة الإسلامية ممثلة في أشخاص الصفوة التي يضمها كتاب «صلاح الأمة في علوّ الهمة» ظلت حريصة على متابعة أهل العصور المفضلة الأولى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

«المسلمون» العدد الثاني ٤٣ السنة الأولى.

(١) نفسه (ص١٤٩).

ﭐﻟﺄَﻧۡﻬَٰﺮُ ﺧَٰﻠِﺪِﻳﻦَ ﻓِﻴﻬَآ ﺃَﺑَﺪٗﺍۚ ﺫَٰﻟِﻚَ ﭐﻟۡﻔَﻮۡﺯُ ﭐﻟۡﻌَﻈِﻴﻢُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة].

وهكذا حقَّق لنا الكتاب هدفًا ثمينًا، فإن الأمة «تحيا في تاريخها، وما تاريخها إلَّا أصحاب المواهب «أو الهمم العالية» من أبنائها وما صنعوه ليخلدّهم، فتخلد الأمة بخلودهم»[١].

ونرى أن حضارة الإسلام -إذا قُمنا بإحيائها من جديد، فإن بمقدورها أن تقيم التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، وتجعل دعائمها الإيمان بالله ﷻ، والعلم والعدل الاجتماعي وهنا يبرز الدور الذي يجب أن يقوم به المسلمون في هذا العصر انطلاقًا من دينهم ليحققوا أمل البشرية في مستقبل أفضل»[٢].

وهذه هي الميزة الثانية التي تتميز بها حضارة الإسلام، ففي دراسة للدكتور حسين مؤنس -رحمه الله تعالى- لتاريخ حضارتنا اتضح أن الأمة أقامت أنظمتها الخاصة بها على مؤسسات، أهمها مؤسسة القضاء فالقضاة في عالم الإسلام كانوا يتكونون في رعاية الأمة؛ لأن الأمة كانت ترعى التعليم، فيبدأ التعليم في الكتاتيب وهي مؤسسات شعبية ويستمر في المساجد، التي يتخرَّج منها الفقهاء ومنهم كانت الدولة تُعيِّن القضاة التي سيخرج منها الفقهاء.. والفقه الإسلامي كله من صنع الأمة.. والجهاد في سبيل الله تحوَّل خلال العصر العباسي إلى مؤسسة شعبية، فكان المرابطون

---

(١) د/زكي نجيب محمود «قيم من التراث» (ص٣٦٧) مكتبة الأسرة بمصر سنة ١٩٩٩م.

(٢) د/ أبو الوفا التفتازاني، بحث بعنوان «منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة في الجامعة» (ص٣٤٢)، نشر بمجلة الجمعية الفلسفية المصرية - العدد الرابع- السنة الرابعة -يناير سنة ١٩٩٦م.

في الثغور متطوعين يعيشون على جهدهم وبعونٍ قليل جدًّا من الدولة، والحسبة- وهي رقابة الأسواق- كانت مؤسسة إذ كان أفرادها يختارون من بين الفقهاء.

وبسبب هذه الميزة الفريدة ظلت الأمة بخير رغم ما أصابها من مساءات بعض الحكام ومظالمهم.. وكذلك ظلّت حضارة الإسلام حيَّة نشطة معظم الوقت تقريبًا «نعم كانت هناك عصور ازدهار وركود، ولكن الركود لم يصل إلى درجة الجمود التام قط؛ **لأن الأمة كانت تغذِّي مؤسساتها الحضارية العامة كالقضاء والعلم والفقه والحسبة.. إلخ**»(١).

حضارة الإسلام، هي حضارة المستقبل:

يبدو هذا العنوان مُسرِفًا في التفاؤل، ولكن بحسن اختيارنا له ولإقناع القارئ: لا بد من تتبع آراء بعض الفلاسفة والمؤرخين، وهي ذات شقين:

الأول: الاتفاق على ما يشبه الإجماع بأن حضارة الغرب تعاني من مشكلات ضخمة عصيبة على الحل، بل رأى البعض أنها في دور الانهيار والأُفول على ما سنوضحه بعد قليل.

الثاني: الصحوة الإسلامية الآخذة في الاتساع وجذبت الدارسين والمحللين السياسيين للتنبؤ بمستقبلها، وربما كان المؤرخ البريطاني الشهير -منذ القرن الماضي- هو أول من تنبأ بأن حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل بناءً على دراسة مقارنة بين حضارتي الإسلام والحضارة الغربية.

□ ونأتي إلى التفصيل:

أولًا: ظهر التنبؤ بانحدار الغرب من المؤرخ الألماني «شبنجلر» -في

---

(١) د/ حسين مؤنس «الحضارة» (ص١٧٤) عالم المعرفة -الكويت ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

القرن الماضي- (١٩٣٦م) وهو صاحب فكرة أن عمر كل حضارة يقدر بألف سنة، وكان يقول إن القرنين التاسع عشر والعشرين يعتبران أعلى نقطة في خط صاعد مستقيم في تاريخ العالم، وهما في الحقيقة مرحلة من مراحل الحياة يمكن ملاحظتها في تاريخ أي حضارة بلغت نضجها.. وكل من له رغبة في فهم التاريخ في ضوء هذا التفسير يدرك اقتراب نهاية الحضارة الغربية، ثم «يؤكد أن مصدرها المحتوم وهو التدهور، والهلاك مرتقب في المستقبل المنظور»[١].

ويرى «شبنجلر»: «أن تلازم عصر تنتشر فيه المذاهب اللادينية مع التوسع الاستعماري العالمي؛ يعني: أن ذلك عصر تدهور واضمحلال ويستحيل تجديد شباب هذه الحضارة، كما يتعذر استرجاع شباب الكائنات العضوية، لا يمكن أن نفعل شيئًا إذا كنا قد ولدنا في أول شتاء هذه الحضارة، وإنها ليست أزمة طارئة، ولكنها مأساة لا يمكن تجنبها إذ لا مفر من هذا المصير»[٢].

وكانت المقارنة بين مزايا الحضارة الغربية ومساوئها في غير صالحها، بل مدعاة للتشاؤم «فبالرغم من كل ما قدَّمته المدينة من أسباب الرفاهية

(١) «شبنجلر» «انحدار الغرب» -الترجمة الانجليزية نقلًا عن د/ حسين مؤنس «الحضارة» (ص٣٥٠) -عالم المعرفة- الكويت ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

(٢) د/ أحمد صبحي في «فلسفة التاريخ» (ص٢٣٠)- مؤسسة الثقافة الجامعية - اسكندرية ١٩٩٠م- ط ٣ ويرى الدكتور أحمد صبحي رحمه الله تعالى إن آراء شبنجلر كان لها تأثير بعيد المدى -ليس فحسب في توينبي- أكبر مؤرخي العصر- وإنما في آراء كثير من مفكري فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين أصبح شغلهم الشاغل الحديث عن مصير الحضارة الغربية وأزمة الأوروبي المعاصر من أمثال كولن ولسن وهربرت ماركينور.

المادية، فإن إنسان اليوم ليس أسعد حالًا من إنسان الأمس الذي لم يكن ينعم بالمخترعات؛ لأنه قضى على بعض الشرور فقد استبدل بها شرورًا ليست أقل: قضى على الرق، ولكنه استبدل به رق الشعوب ممثلًا في الاستعمار بدلًا من رقِّ الأفراد.. فجرّ الذرة ليكون تحت رحمة الأسلحة النووية.. انخفض معدل الوفيات إلى حد كبير، ليواجه مشكلة تضخم السكان، دخل عصر الفضاء ووطأت قدماه أرض القمر، ولكن لسان حاله يقول: لا يهمني أن أصل إلى القمر، ولكن يهمني أن أعيش سعيدًا على الأرض»[1].

□ كذلك الرئيس الأسبق لأمريكا «نيكسون» يرى إن الحضارة الأمريكية قد بلغت ذروتها وها هي الآن تواجه انهيار لا سبيل إلى عكس اتجاهه، أعراض الانهيار تحيط بها، فهناك مشكلة إدمان المخدرات التي تفشت في الشباب، وهناك أزمة التعليم.. إلخ[2].

□ كما استخلص المؤرخ الأمريكي «بول كيندي» بكتابه «صعود وأفول القوى العظمى» أن الإمبراطوريات الكبرى في التاريخ ابتداء من الإمبراطورية الرومانية وانتهاء بالإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية سقطت تحت وطأة الكلفة الاقتصادية العالية، محذرًا من أن الإمبراطورية الأمريكية قد تلقى المصير نفسه[3].

---

(١) نفسه (ص١٧٤).

(٢) «ريتشارد نيكسون» (١٩٩٩م) «نصر بلا حرب» (ص٣٢٢) إعداد وتقديم المشير محمد أبو غزالة- مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٣) رضا هلال «تفكيك أمريكا» صفحات (٢١٤، ٢١٢، ١٠٧، ١٠٦) دار مصر المحروسة ٢٠٠٣م.

واستند في تحذيره إلى إحصائية تراجع معدل نمو الإنتاجية في الاقتصاد وزيادة الديون الخارجية وغير ذلك من نقاط تراجع الاقتصاد الأمريكي، مشيرًا إلى أن ٣٧ مليون أمريكي لا يتوافر لهم التأمين الصحي. إلى تزايد أعداد الفقراء واختلال توزيع الثروة وانتشار المخدرات وتفشي الجريمة والعنف وتدهور التعليم وابتذال الثقافة الأمريكية، أي التركيز على تعظيم الاستهلاك وثقافة موسيقى البوب والرسوم المتحركة والضوضاء والاستمتاع والبعد عن التفكير الجدي [١].

وحدث ما توقعه كيندي فيما نعايشه الآن (أكتوبر سنة ٢٠٠٨م شوال ١٤٢٩هـ) من أزمة اقتصادية خانقة بالولايات المتحدة الأمريكية وجرَّت معها بلاد أوروبا، وربما أغلب بلاد العالم.

ونرى أنه من السابق لأوانه -والغرب يتخذ الإجراءات الكفيلة بالإنقاذ من الأزمة - إصدار الحكم النهائي على أوضاعه الاقتصادية والسياسية، ولكن هناك أحكام أوليَّة صدرت على ألسنة بعض المفكرين والساسة تشي بأن الغرب في طريقه إلى «الأفول».

والوصف ليس من عندي، ولكن استخدمه كاتب بريطاني يسمّى «دومينيك مواس» إذ قال بالحرف الواحد «وإذا كان الكساد العظيم لعام ١٩٢٩م قد مهدّ الطريق لنشوب الحرب العالمية الثانية، فإن الأزمة المالية الحالية ستسرع نسبيًّا، أفول نجم الغرب بصفته قوة اليوم ونموذجًا لباقي العالم غدًا» [٢].

---

(١) نفسه.

(٢) مقال بعنوان «أفول الغرب» بقلم «دومنيك مواسى» «التايمز البريطانية» ونشرته أخبار اليوم المصرية في ١١ شوال سنة ١٤٢٩هـ- ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

وجاء بالمقال نفسه مقولة «جاك شيراك» الرئيس الفرنسي السابق: «إن الشرق بات موطن النموّ والغرب مرتع الديون، إن الغرب أصبح مسكونًا بالخوف في حين أصبح الشرق يحدوه الأمل»[١].

ومع تداعي الأحداث واستحكام الأزمة الاقتصادية، اضطر فوكوياما إلى التراجع عن رأيه الذي بثّه بكتابه الشهير «نهاية التاريخ وخاتم البشر» الذي بشرّ فيه بأن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الأيدولوجي **للإنسانية،** والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ»[٢].

□ ويذكر الأستاذ محمد عيسى الشرقاوي، في مقال له، أن «فوكوياما» «لم يستطع أن يراوغ.. وإنما اضطر، مكرهًا لا بطلًا، إلى الحديث عن سقوط الشركة الأمريكية» ويضيف الكاتب قائلًا: «وما هو أهم من ذلك أن فوكوياما يقول: «إن النموذج الأمريكي قد أطفأت إدارة بوش بريقه، وصار معتمًا بسبب لجوئها للتعذيب في سجن أبوغريب بالعراق، ويستكمل جون جراي المعنى ويشير إلى أن ما حدث تحول سياسي تاريخي تبدل فيه ميزان القوى في العالم إلى غير رجعة.. لقد انتهى عصر الزعامة الكونية الأمريكية»[٣].

---

(١) نفسه.

(٢) «فرانسيس فوكوياما» «نهاية التاريخ **وخاتم البشر**» (المقدمة) ترجمة حسين أحمد أمين مركز الأهرام للترجمة والنشر (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ووصفه ناشر الكتاب بأنه «لم يثر كتاب آخر مثلما آثار كتاب فوكوياما من جدل صاخب على النطاق العالمي.

(٣) محمد عيسى الشرقاوي، مقال بعنوان: «رجل وامرأة ونهاية أسطورة» جريدة «الأهرام» القاهرية في ١١ شوال سنة ١٤٢٩هـ- ١١/١٠/٢٠٠٨م (ص٤)، =

ثانيًا: تنبؤ «تونيبي» باستمرارية الحضارة الإسلامية:

- عندما سُئل «توينبي» عن مصير الحضارة الإسلامية، هل ستنقرض كما انقرضت حضارات؟

□ أجاب بقوله: «لا شيء من ذلك، وإنما ستبقى كحضارة حيَّة، معللًا ذلك بعاملين: أولًا: أنَّ الحضارة الإسلامية تكمن فيها طاقات غير قائمة

ويلاحظ الحقد الدفين في قلب فوكوياما للإسلام، إذ قال بكتابه إن هناك عدوًّا قادمًا للحضارة الغربية هو الإسلام.. لأنه نظام قائم على عقيدة.. فهذه الأيدولوجية ستصبح هي النقيض للأيدولوجية الغربية.. وبالتالي لا بد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر؛ لأن العالم لن يستمر في صراع بين العقيدتين «الغربية والإسلام» وربما يكاد «فوكوياما» الآن يتميّز من الغيظ عندما يسمع ويرى المستنقع الذي غرقت فيه بلاده بالعراق، وعن عجزها -وهي تمثل القوة العسكرية الأولى في العالم- عن الانتصار على شعب أفغانستان البطل الذي دق مسمار النعش في الإمبراطورية الروسية ويبدو أنه سيفعل ذلك بالإمبراطورية الأمريكية أيضًا.

وهذا الاستنتاج لا يأتي من فراغ، ولكن بناءً على ما يحدث في أرض المعركة:

فقد صرّح القائد العسكري للقوات البريطانية إنه لا ينبغي توقع نصر حاسم على حركة طالبان.. ومن ناحية أخرى نفت الحركة ما جاء في تقرير إعلامي أمريكي حول مشاركتها في مفاوضات مع الحكومة الأفغانية وشددَّت على استمرار الكفاح حتى مغادرة آخر جندي أجنبي للأراضي الأفغانية.

وتتساءل الأستاذة أماني عبد الرحيم في مقالها: «فهل تعترف واشنطن بحقيقة الأوضاع في أفغانستان أم ستستمر في عنادها حتى ينتهي الأمر بكارثة، أو يبقى الحال كما هو عليه مثل العراق؟!»(*).

(*) أماني عبد الرحيم، مقال بعنوان: «طالبان تحدد مستقبل أفغانستان» بجريدة «أخبار اليوم» القاهرية في ١١ شوال سنة ١٤٢٩هـ- ١١/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

في الحضارة الأوروبية الحديثة التي تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها من الثورة الفرنسية، وفي التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل، هذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل بصدد المساواة، إذ تمكن في أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد «مثل المماليك وكافور الأخشيدي».

العامل الثاني: تحريم الخمر، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة التحريم بالنسبة للحضارة [١].

هذا، وقد كانت إجابة «توينبي» على السؤال الموجه إليه مجرد تنبؤات، فلما بدت تباشيرها تتمثل في الصحوة المتنامية، أصيب الغرب بالذعر؛ لأنها لم تظهر في بلد دون آخر، ولكنها انتشرت سريعًا في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا، بشكل لم يتوقعه الغرب بهذه الصورة بعد كل أشكال التغريب والتنصير والاستعمار الثقافي وفرض التبعية سياسيًّا واقتصاديًّا على العالم الإسلامي المغلوب على أمره بالاستعمار العسكري، فلم يتوقع الغرب بهذه السرعة أن تستيقظ أمة الإسلام، وتبدأ في العمل على استرداد ما اغتصبه منها من ثروات منهوبة –وقبلها استرداد الهويَّة والكرامة الإنسانية، بل أصبحت ظاهرة اعتناق الإسلام بداخل بلاده والعالم تقلقه، إذ تبين «أن معدَّل اعتناق الإسلام هو أعلى معدّل في العالم» [٢].

---

(١) د/ أحمد صبحي «في فلسفة التاريخ» (ص٢٥٨).

(٢) هذا ما أكدَّته شبكة C.N.N الإخبارية الأمريكية «مجلة المختار الإسلامي- القاهرة» ١٥ شعبان سنة ١٤١٨هـ- ١٥ ديسمبر سنة ١٩٩٧م.

وظهر الإفلاس الفكري للغرب بقيام بعض ساسته وكُتَّابِهُ وصحفييه بمهاجمة الحرمات والشعائر الإسلامية وهي حيلة العاجز عن المقارعة بالحجة والدليل، ولهذا انعقد مؤتمر «تعظيم حرمات الإسلام بالكويت» ووجَّه الحاضرون رسالة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب، ونصها: «إن هناك كثيرًا من المفكرين والقادة المسلمين يرون أن الهجمة الحالية على الحرمات والشعائر الإسلامية إنما جاءت نتيجة لإدراك بعض القادة والمفكرين في الغرب أن العالم الإسلامي يستعيد نهضته، ويصحو من غفوته لاستئناف رسالته في إصلاح البشرية وإسعادها، وأنه قد أصبح يمثل منافسًا حقيقيًّا في المجالات الفكرية والحضارية.

إننا ننظر باهتمام إلى تقرير منظمة التسامح الديني بكندا، الذي يقدر عدد المسلمين عام ٢٠٠٣م بحوالي ١,٢٢٦ مليار بما يمثل حوالي ١٩٪ من إجمالي سكان العالم في ذلك الوقت، ويؤكد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تنمو نسبة معتنقيه بينما تتراجع نسبة معتنقي الأديان الكبرى الأخرى، كما توقعت تلك المنظمة أيضًا أن يكون الإسلام هو الدين الأول في العالم قبل عام ٢٠٢٣م، فهل هذه الإحصاءات الأخيرة هي الدافع في عودة نزعة الخوف من العالم الإسلامي لدى بعض القادة والمفكرين في الغرب؟

إنه سؤال نوجهه إليكم»[(١)].

---

(١) رسالة صادرة من مؤتمر «تعظيم حرمات الإسلام» المنعقد في شهر المحرم سنة ١٤٢٨هـ= يناير ٢٠٠٧م الذي استضافته دولة الكويت وحضره جمع من علماء الأمة ودعاتها ومثقفيها، وأصدرتها مجلة «البيان» اللندنية بكتيب بعنوان: «دعوة للمراجعة- رسالة موجهة إلى قادة الفكر والرأي في الغرب» (ص٣٤- ٣٥).



الجذور التاريخية للعداء للإسلام وازدياده عقب ٢٠٠١/٩/١١م تحت شعار الحرب الصليبية:

□ يرى الأستاذ محمد أسد» -المهتدي للإسلام- أنه لكي نفهم الأساس السيكولوجي لأقدم العلاقات بين العالمين الغربي والإسلامي، فإن معرفة ما يفكر الغربيون فيه ويشعرون به نحو الإسلام اليوم، إنما هو متأصَّل في انفعالات وتأثيرات وُلدت أثناء الحروب الصليبية.

ويعتمد على التحليل النفسي عندما حاول علماؤه أن يظهروا أن جزءًا كبيرًا من الحياة العاطفية عند الإنسان الناضج يمكن أن ترجع إلى خبرات تمت له في بدء تكوينه في أيام طفولته المبكرة «وهل الأمم والمدنيات سوى أفراد تؤلف المجموع؟ أن غوصًا مرتبطًا بخبرات طفولتها المبكرة.. والقرن الذي سبق الحروب الصليبية مباشرة.. يمكن أن يوصف بالطفولة المبكرة للمدنية الغربية.. لقد تلقت أوروبا أكبر صدمة عرفتها: الحروب الصليبية»[١].

□ ويقول «جوستاف لوبون»: «فالحق أن أتباع محمد ﷺ ظلُّوا أشّر -هكذا-! ما عرفته أوروبا من الأعداء إرهابًا عدة قرون، وأنهم عندما كانوا لا يرعدوننا بأسلحتهم، كما في زمن «شارل مارتل» والحروب الصليبية، أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية، **كانوا يذلُّوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة**، وأننا لم نتحرر من نفوذهم إلَّا بالأمس، وتراكمت مبتسراتنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة وصارت جزءًا من

---

(١) محمد أسد «الطريق إلى الإسلام» (ص٢٠- ٢١) ترجمة عفيفي البعلبكي -دار العلم للملايين / بيروت ط ٤ مارس سنة ١٩٧٦م.

مزاجنا»[١].

□ ويؤرخ «توينبي» للعداء ضد الإسلام منذ قرون حيث كان أسلافهم يرون فيه خطرًا مخيفًا يتهددهم، وذلك يرجع إلى أن الإسلام يعتبر حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخالفة لديانة الغرب، وكان الإسلام أيضًا يستخدم سلاحًا روحيًّا لا يمكن مقاومته بالأسلحة المادية[٢].

وظلت الأجيال تتوارث هذه الأحقاد، وشياطين الإنس يخططون في الخفاء لاجتثاث الإسلام -حسب زعمهم- من جذوره، فأثمرت قرائحهم الفاسدة على اصطناع واقعة مذهلة وصادمة، لتبرِّر لهم تنفيذ أهدافهم بإحكام، وتقدّموا للعالم بخدعة أو لِنَقُلْ بتمثيلية ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م، ولقد صحّ فيها -فيما بعد- القول بأنه ليست هناك جريمة كاملة!

فما هي الحقيقة؟!!

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م: ما الحقيقة؟

خيّل إلينا أنَّ العداء السافر للإسلام والمسلمين انفجر فجأة كانفجار الأبراج في أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، ولكن هذا مخالف لسنَّة التاريخ وتعاقب حوادثه؛ فإنه كالسلسلة التي تربط كل حلقة منها بالأخرى بطريقة محكمة، فهناك علاقة وطيدة بين السابق واللاحق من وقائع

(١) «جوستاف لوبون» «حضارة العرب» (ص٢١، ٢٢) ترجمة عادل زعيتر- ط الحلبي سنة ١٩٦٩م.

(٢) «أرنولد توينبي» «الحضارة في الميزان» (ص٢٩، ٣٠) ترجمة أمين محمود شريف مراجعة محمد بدران (وزارة التربية والتعليم- ط الحلبي) بدون تاريخ.

التاريخ، ونقصد بذلك أنه كانت هناك تغييرات عميقة في المجتمعات الغربية -أمريكا ودول الغرب التي تدين بالمذهب البروتستانتي- كانت تعمل في صمت حتى اكتملت برامجها وأهدافها، وجاءت أحداث ١١ سبتمبر إيذانًا بالانطلاق، وكأنما حان وقت التنفيذ استغلالًا لحالة التعاطف في الرأي العام الأوروبي مع ضحايا الانفجارات حتى رفعوا شعار «كلنا أمريكا».

واتهمت الولايات المتحدة الأمريكية شبكة «القاعدة» بأفغانستان بأنها المسئولة عن هدم برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بلا دليل واضح يؤيد هذا [١].

وعندما شت أمريكا الحرب على أفغانستان -تحت شعار «الحرب الصليبية» وسقط المئات قتلى ومصابين وتفاقمت المشاكل المعيشية والإنسانية، تراجع الاهتمام بالسؤال «**من الذي فعلها؟**» إلى محاولة إنقاذ أرواح الشعب الأفغاني من القذائف الأمريكية، فإن هذه القذائف لم تصل إلى أسامة بن لادن وزملائه «وفي مثل هذه الأجواء لم يعد ثمّة ما يُسَوِّغُ أمر الانشغال بالفاعل، وهل هو ابن لادن أم «الموساد» الإسرائيلي الذي رأى بعضهم أنه فعلها ليلصقها بالعرب والمسلمين، أم منظمة أمريكية متطرفة كتلك التي نفذت عملية تفجير المبني الفيدرالي في أوكلاهوما في العام ١٩٩٥م، أم مجموعة من الصرب اليوغوسلاف انتقامًا لحرب كوسوفا واعتقال زعيمهم ميلوسوفيتش ومحاكمته، وهذا الرأي الأخير انفرد به

---

(١) د/ وحيد عبد المجيد «الإرهاب وأمريكا والإسلام- من يطفئ النار؟-» (ص١٩٨)، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م.

الكاتب المصري محمد حسنين هيكل في مجلة «وجهات نظر» في عددها لشهر أكتوبر ٢٠٠١م»[١].

الطعن في الرواية الرسمية الشائعة:

ذاع التفسير الرسمي لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمته تَسْوِيغًا لغزو أفغانستان ٢٠٠١م ثم العراق ٢٠٠٣م حيث كان الاتهام موجهًا لبعض أفراد من الشباب المسلمين بأوامر من ابن لادن، وأعلنها رئيس أمريكا في التو «حربًا صليبية»، وانضمت إليه أوروبا في عصبية جامحة، ورفعت شعار «كلنا أمريكا»..

---

(١) نفسه (ص١٩٩).

وقد توالى ظهور كثير من المؤلفات والبحوث والدراسات تطعن في الرواية الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م (*)، وكلها تستند إلى أدلة وبراهين بحيث تجعل القارئ أكثر اقتناعًا بافتعال هذه الأحداث افتعالًا لتبرير ما استتبعها من حروب وإجراءات لتضييق الخناق على المسلمين بمصادرة أموالهم والقبض على بعضهم بغير جرائم اقترفوها وكبت حرياتهم تحت شعار محاربة الإرهاب، وهو الاسم الحركي للمقصود وهو الإسلام.

(*) يقول الدكتور جلال أمين: «وبينما يشكك كتاب فرنسيون وألمان في القصة كلها، وقال بعض القانونيين الإنجليز أن ما يُقدَّم على أنه أدلة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتى لتقديمهم للمحاكمة، ناهيك عن إدانتهم».

كتابه «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» (ص٧٥)، دار الشروق، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ويرى أن جزءًا كبيرًا مما تقوله وسائل الإعلام يتعارض تعارضًا صارخًا مع المنطق السليم (ص٣٧) نفسه.

ودارت عجلة الإعلام الغربية الجهنمية للنيل من الإسلام والمسلمين، وإلقاء كافة التهم جزافًا بلا دليل، فوُصف بالإرهاب، والنازية.. إلخ..

ثم جاءت الفكرة بعد السكرة؛ لأن عقلاء القوم تدبّروا الرواية الرسمية الذائعة، ووضعها الكثير من الباحثين تحت المجهر لأنهم لم يقتنعوا بظاهرها، وأخذ الكثير من العلماء والصحفيين والدارسين يطعنون في صدقها ويشككون في وقائعها بأدلة منطقية لا تقبل الطعن.

والمطاعن الموجهة إلى الرواية الشائعة تدور حول أمور، لعل أهمها ثلاثة:

١- إن خطة غزو أفغانستان والعراق كانت معدّة قبل أحداث سبتمبر واتخذت منها ذريعة للتنفيذ؛ لأنها جمعت الشعب الأمريكي كله وراء حكومته بدافع الانتقام بشكل عاطفي محموم، لا يقف في طريقه معارض وإلّا اتهم بالخيانة وعدم الوطنية.

٢- كانت العقائد الدينية التي يعتنقها المسيحيون الصهيونيون هي أقوى الدوافع لهذا الغزو صاحبها دافع السيطرة على منابع البترول والتحّكم في منابعه بالشرق، وهو المصدر الرئيسي لقوة الحضارة الغربية التكنولوجية.

٣- تتضمَّن الرواية الرسمية ثغرات كثيرة -كما سيأتي تقوضها من أساسها- فدفعت الدارسين إلى استبعادها، وتصوير الأحداث بطريقة مخالفة تمامًا مع تحديد المسئولين الحقيقيين، وقد قدّموا تصورًا بديلًا أكثر إقناعًا من الرواية الرسمية للحكومة الأمريكية.

□ يقول الدكتور محمود خلف الخبير الاستراتيجي المصري: «إن ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ليس وليد اليوم إنما هو خطط موضوعة منذ ١٩٨٠م مع إنشاء قوات الانتشار السريع، منذ عام ١٩٩١م»[(١)].

□ كذلك كان جارودي من الباحثين بدراية وعمق لاسرار ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بكتابه «الإرهاب الغربي» وخلص إلى وصفها بأنها خيانة عظمى، ومؤامرة، كما رأى أنها ليست المرة الأولى التي تنظم المخابرات المركزية الأمريكية وعسكريون في مناصب عليا ومسئولون سياسيون مثل هذه الإثارة لإجبار الشعب على القبول بفكرة ضرورة القيام بحرب إبادة[(٢)].

ثم يقول: «وهكذا يتضح مدلول الحادي عشر من سبتمبر، فهو ليس تعبيرًا عن المواجهة بين الإسلام والمسيحية، ولا بين الشرق والغرب، ولكن هذا ما يريد المتآمرون الأمريكيون أن يقودوا القرن الواحد والعشرين إليه وفقًا لنظريّة هنتنجتون»[(٣)].

---

(١) «الأهرام العربي» ١٩ رمضان ١٤٢٧هـ- ٧ أكتوبر ٢٠٠٦م.

.. وينفذه الآن جورج بوش الابن بزعامته للمحافظين الجدد ورؤيتهم اليمينية والدينية، وتبنيهم مصطلح الصهيونية المسيحية.. إن الحرب الحالية هي عقائدية وتسمى «خطة الرب».

(٢) «روجيه جارودي» «الإرهاب الغربي» (١/ ٩)، تعريب د/ داليا الطوخي، د/ ناهد عبد الحميد، د/ سامي مندور، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) نفسه (ص١٥). وقد استند «جارودي» في وصف ما حدث في ٩/١١ بأنه مؤامرة إلى العوامل الآتية:

=

□ ويقول الدكتور «أندرياس فون بيلوف» -الرئيس السابق لجهاز المخابرات في الحكومة الألمانية-: «الأحداث الإرهابية في ١١/ ٩ طبقًا لفهم، وإدراك الحكومة الأمريكية كما هو مفهوم لكثير من المعلّقين في هجوم «بيرل هاربور»، تعتبر هذه الأحداث هي بيرل هاربور القرن الجديد، وكما أن الهجمات على الأسطول الأمريكي في ديسمبر ١٩٤١م أدى إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، فإنه ترتب على أحداث ١١/ ٩ رغبة الرئيس بوش في حرب طويلة ضد الإرهاب «الإسلام» العالمي»[1].

وسرعان ما قام نائب الرئيس الأمريكي للولايات المتحدة الأمريكية باتهام ما يقرب من ستين دولة أنهم قد أعطوا الإرهابيين المسلمين المساعدات، محذِّرًا هذه البلاد من التقصير في مكافحة الإرهاب، وإلَّا

-أن عملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لا يقوم بها إلَّا طيارون محترفون.

-أن أي عملية ناجحة كهذه تقتضي معرفة تامة باللوائح والثغرات في سماء يراقب الأمن العسكري كل متر مربع فيها.

-لم تتدخل الطائرات العسكرية -وهي دائمة مستعدة للإقلاع- للقضاء على أي طائرة مشبوهة.

-تمنع أمريكا في مجال أبحاث مكافحة خطف الطائرات بنظام يتيح شل حركة الطيران في الطائرة المستهدفة.. وكان كل شيء مخططًا عن طريق التحكم من بعد. (ص٩) من المصدر نفسه «الإرهاب الغربي» (ج١).

(١) «أندرياس فون بيلوف»: «براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر، ودور أجهزة المخابرات» (ص٢٥٦- ٢٥٧)، ترجمة د/ سيد حسان أحمد، منشأة المعارف بالأسكندرية ٢٠٠٤م.

سوف تضطر أمريكا أن تتدخل بنفسها[١].

□ ويطعن «أندرياس فون بيلوف» في صحة الرواية الرسمية مستندًا إلى أسباب كثيرة منها:

١- افتقاد المهارة في قيادة الطائرات للأشخاص المنسوبة إليهم التهمة، فقد أكدت صحيفة واشنطن بوست أن الطائرة التي ضربت البنتاجون لا بد وأن تكون قيادتها من طيارين على درجة عالية من الكفاءة، ولا بد أن يكون الطيار ذا خبرة في استخدام عصا القيادة، مما يتطلب تدريب محترفين وتعليمًا يستغرق سنوات طويلة، أما عن تعلّم هواة الطيران الانتحاريين فهو تعليم من الواضح كما ذكر مدربوهم سابقًا أنه أبعد ما يكون عن النجاح أو التمكن[٢].

٢-ثبت لدى عدد كبير من الباحثين في هذا الموضوع -ومعظمهم من الصحفيين البريطانيين -أن سبعة من التسعة عشر مسلمًا الذين قاموا بالعملية الانتحارية ما زالوا ينعمون بحياتهم[٣].

ويعلق المؤلف على ذلك ساخرًا: «وبالطبع لم يكن في مقدور مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI ولا وكالات الإعلام الأمريكية والأوروبية البحث عن مدى صدق هذه القائمة التي تضم أسماء الجناة والتي ظهرت بفعل الساحر من قبعته خلال ساعات قليلة»[٤].

---

(١) نفسه (ص٢٣١).

(٢) نفسه (ص٥٧).

(٣) نفسه (ص٩٣).

(٤) نفسه (ص٩٣).

٣-على العكس من التصريحات الأخيرة في معظم أجهزة الإعلام أعلن أسامة بن لادن الذي يقيم في أفغانستان في تحقيق صحفي لإحدى الصحف الباكستانية أنه يستنكر هذه الاعتداءات ويتنصل من أي نوع من الاشتراك في هذه الأعمال، وأنه لم يكن لديه أي علم عن هذه الهجمات، كما أنه لا يوافق أبدًا على قتل الأبرياء من النساء والأطفال وأناس آخرين، إن الإسلام يمنع ويحرم بشدة حتى في حالات الحروب مثل هذه الأعمال، كما قال أنه شخصيًّا ضد النظام الأمريكي ولا يعادي الشعب بأي حال من الأحوال [(١)]. ويفسّر المؤلف ما نُسب إلى ابن لادن بعد ذلك من أنه قبيل من صناعة الأفلام المدبلجة بحيث يمكن التوفيق بين الأصوات ووضع الفم بكلمات تناسب الجمل، وبهذا فإن الأقوال الكاذبة التي دُسّت على الأشرطة لا يظهر فيها التزوير، وقد جندت CIA مجموعة من عشرة أشخاص لهم شبه كبير من ابن لادن [(٢)].

٤- تلقت الحكومة الأمريكية من العديد من الحكومات وأجهزة المخابرات العالمية تحذيرات من الهجمات «والتحذير المباشر والواضح الذي أرسلته الحكومة الألمانية عن طريق أجهزة

---

(١) نفسه (ص٧٣- ٧٤).

(٢) نفسه (ص٧٦).

ويضيف المؤلف أنه ظهر في أجهزة الدعاية الأمريكية الموجهة إلى العراق أحد الأشخاص قادر على تقليد صوت الرئيس صدام حسين بدرجة عالية من الإتقان

مخابراتها قبل حدوث هذه الهجمات وتجاهلت الإدارة الأمريكية كل هذه التحذيرات قبل وقوع الهجمات وأفهمت الحكومات الأخرى أن أمريكا تعلم كل هذا الذي سوف يحدث لتجد مبررًا لاحتلال منابع البترول في منطقة أفغانستان والعراق»[١].

٥- ارتفعت أصوات عالية بعد الانهيار الدرامي لبرجيّ مركز التجارة العالمي تقول إنَّ اصطدام طائرة كبيرة للركاب بهذا المبنى المكون من هيكل من الصلب ليست السبب في انهياره وهو علم الكون والقوة المتوازنة في اعتدال الأجسام..

ولقد صرّح أستاذ جامعي في علم استاتيكية البناء أن انهيار البرجين لا يمكن أن يكون سببه -تحت أي ظروف- التأثير الكبير للضغط والحرارة[٢].

ويستند المؤلف إلى الكاتب الفرنسي «تيري ماسون» بكتابه «سيناريو الإرهاب» بقوله: إن البنتاجون لم تصطدم به أي طائرة ركاب؛ لأنه عند موقع الحادث لا توجد أجزاء من حطام الطائرة يمكن رؤيتها، وأصبح الاحتمال الأكبر هو أن هناك صاروخًا من طراز كروز الحربي هو الذي سبَّب هذا التحطيم[٣].

ثم يتساءل المؤلف: «هل تم سلب القيادة من الطيار، وإلغاء كلّ صلاحياته وتشغيل الطائرة عن بعد بواسطة الأجهزة الأرضية الموجودة

(١) نفسه (ص٢٧٧).
(٢) نفسه (ص١١٤).
(٣) نفسه (ص٢٠٢).

بالمبنى رقم ٧ «بالريموت كنترول».. لأن الانفجارات التي أسهمت في انهيار المبنى من الممكن وعن طريق ضبط الوقت يكون تم إشعال شحنة المتفجرات عن بعد»[١].

وبالمناسبة يجد المؤلف حدثًا مشابهًا في طائرة مصر للطيران التي سقطت في المحيط الأطلنطي بركابها جميعًا -رحمهم الله تعالى- ويرجح أنها أسقطت بعمل تخريبي عن طريق قنبلة تم تهريبها داخل حقيبة إلى داخل الطائرة، أم تحكم عن بعد وإسقاط الطائرة عن طريق «التوجيه عن بعد»[٢].

٦-قبل الاعتداءات بأيام كانت هناك تقارير تتحدث عن جو الاكتئاب العام، أنه نتيجة هبوط أسعار الأسهم والسندات في بورصة الأوراق المالية، وهذا يتعلق بصفقات ضخمة بمليارات الدولارات التي تم المضاربة عليها بالبورصة من أناس أكدوا وأقرّوا بهذا والذين توقعوا هذه الهجمات الأكيدة، ومنهم «جون أونيل» الذي طُرد من مهام وظيفته في مكافحة الإرهاب لدى مكتب التحقيقات الفيدرالية والمسئول عن أمن مركز FBI التجارة العالمي، قال لأصدقائه في حفلة زواج حضرها في الليلة السابقة لأحداث ١١/ ٩ إنه سيكون هناك حدث ضخم[٣].

٧- تم إعداد قانون الحريات قبل ١١ سبتمبر، وهو قانون ضخم لا

---

(١) نفسه (ص٢٠٩).

(٢) نفسه (ص٢١٣).

(٣) نفسه (ص٢١٨).

يعقل إعداده بالسرعة التي أُعلِن بها، مع محاولة تطبيقه في دول الاتحاد الأوروبي، وترتب على تطبيقه اعتقال الآلاف في أوروبا وأمريكا بصفة سرية، وفي ظروف غير إنسانية فضلًا عن أساليب التعذيب على غرار سجن جوانتنامو.

وقد أصبح هذا القانون أداة لما يُسمّى بإرهاب الدولة، يستخدمه الغرب في إذلال المسلمين وقمعهم.

٨- كانت الأجهزة الإسرائيلية تتجسس فوق الأراضي الأمريكية على العدو المشترك المتهم بتكوين شبكة من الإسلاميين المتعصبين بمدينة «نيوجيرسي» وهي مجاورة مباشرة لمدينة نيويورك، وبعد الهجمات بفترة وجيزة تم القبض على خمسة إسرائيليين داخل سيارة لنقل الموبليات، تم الإبلاغ عنهم لمكتب التحقيقات الفيدرالية من بعض المارة الذين رأوا هؤلاء الإسرائيليين وهم يقومون بتصوير الهجمات من سطح، وكانوا يرقبون ويصورون كل ما يحدث بكاميرا فيديو، وكانت تبدو عليهم السعادة العارمة. وتقول سيدة: إنهم كانوا فرحين ولا يبدو عليهم الصدمة التي أصابت العالم بأسره؛ ولذلك كانت هذه التصرفات تبدو غريبة.. ثم تبين من التحقيقات أن نشاطهم استخباري، وأغلقت أبواب الشركة الوهمية التي كانوا يعملون بها فور القبض على هؤلاء الخمسة الضالعين كعملاء مخابرات[1].

---

(١) نفسه (ص٢٢٧).

وقد ورد بأحد المصادر أنهم كانوا يعلنون: «والآن، باتت أمريكا تعرف بما نعانيه»، =

وخلاصة ذلك كله يقرّر المؤلف بعد دراسته العميقة الشاملة «أن حدث ٩/١١ هو عمل من أعمال الحرب النفسية، وتم الإعداد له منذ فترة طويلة من فريق عمليات عاملة من رجال أجهزة المخابرات المتمرسين في مثل هذه الأعمال، وبالذات لتتناسب مع الروح المعنوية للشعوب»[١].

(ص١٨٠) من كتاب «الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر «الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة»، تأليف اريك لوران، ترجمة د/ عصام المياس، دار الخيال- بيروت ٢٠٠٥م.

(١) نفسه (ص٢٥٦).

ونكتفي بهذا العرض المختصر، ولمن يريد المزيد الاطلاع على المصادر الأخرى التي تيسر لنا الاطلاع على بعضها، ومنها:

- «أجهزة المخابرات الأمريكية وأحداث ١١ سبتمبر» بقلم لواء دكتور محمود محمد خلف، دار المعارف بمصر ٢٠٠٢م.
- «قارعة سبتمبر» بأقلام مجموعة من الباحثين (عدد ١٧)، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠١م، القاهرة، كوالالمبور- جاكارتا- لوس أنجلوس.
- «الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر «الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة» تأليف اريك لوران، وترجمة د/ عصام المياس، دار الخيال- بيروت ٢٠٠٥م.
- «١١ سبتمبر صناعة أمريكية الخطوة الأولى نحو تغيير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد» بقلم هشام كمال عبد الحميد. دار الكتاب العربي- دمشق/ القاهرة ٢٠٠٦م.
- مقالتان بقلم الأستاذ محمد يوسف عدس -مستشار سابق بهيئة اليونسكو-، إحداهما بعنوان: «بيرل هاربر جديد «عودة واجبة بعد انقشاع غبار الأكاذيب إلى واقعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م»، والثانية بعنوان: «لجان تحقيق لإخفاء الحقائق»، وهما منشورتان بمجلة المختار الإسلامي بالعددين (٢٨٣)- غرة ربيع أول ١٤٢٧هـ- ٣٠ مارس ٢٠٠٦م، (٢٨٤) غرة ربيع الثاني ١٤٢٧هـ- ٢٩ أبريل ٢٠٠٦. دار المختار الإسلامي بالقاهرة.

=

وقد قام أحد كبار المراسلين الصحفيين ومتخصص بالسياسة الخارجية، وهو «اريك لوران» بالبحث والاستقصاء لاكتشاف حقيقة ما حدث في ٩/١١ وقال: «إن المعلومات التي استقيتها وضمّنتها كتابي هذا، والتي أردت إيرادها دون أي مجاملة، تدحض الحقائق المقبولة وترسم لوحة مقلقة مزعجة، ويتساءل: هل حدّد هذا الحدث ولادة عالم جديد كما يعتقد العديد من المراقبين، إذا كان الأمر كذلك، فإن هذا المنعطف الجذري يكون قد بنى على سلسلة من الأكاذيب ذات خطورة لا سابق لها»[1].

ويذهب في نهاية كتابه إلى تقرير «أن اغتيال الرئيس الأمريكي ١٩٦٣م

- تيري نيسان «الخديعة الكبرى حول أحداث سبتمبر- خديعة هوليود-»، وقد سمعت بهذا الكتاب، ولكن لم أعثر عليه. وأذاعت وكالة «رويتر» في بث موقع إلكتروني يناقش دور المؤتمرات في هجمات سبتمبر ٢٠٠١م -تسجيلًا لوزيرة الإسكان الفرنسية والسياسية البارزة كريستين بوتان، يعود إلى شهر نوفمبر الماضي- قبل توليها الوزارة ترجّح فيه ضلوع الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في تدبير تلك الهجمات التي أوقعت آلاف الضحايا «الأهرام» في ٢٣ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ- ٨ يوليو ٢٠٠٧م.
- ويُنظر كتاب «١١ سبتمبر.. صناعة أمريكية»، ويتضمن آراء ١١ مفكرًا أمريكيًّا يجمعون على أن الرواية الرسمية هي رواية زائفة ولا أساس لها من الصحة «والكتاب صادر عن نهضة مصر».
- وكتاب الجهاد في سبيل الحقيقة -نضالي من أجل كشف أكذوبة ١١ سبتمبر» لمؤلفه «كيفن بارت»- ترجمة د/ فاطمة نصر- إصدارات سطور الجديدة بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م، وأثبت أنه باستطلاع الرأي العام أعلن نحو ١٠٠ مليون أمريكي أن هجمات ٩/١١ بفعل كبار المسئولين (ص١٦٥).

(١) «اريك لوران» «الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر (الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة)» (ص٩)، دار الخيال- بيروت ٢٠٠٥م.

يبقى سرًّا محاطًا بالأكاذيب، أما ١١ سبتمبر فهو مجموعة أكاذيب تحيط بها أسرار»[١].

لهذه الأسباب، وغيرها مما حفلت به المصادر والبحوث التي تناولت أحداث ١١/ ٩، حق للدكتورة زينب عبد العزيز وصفها بأنها «مسرحية»، إذ ترى أن النية كانت مبيتة لخوض الحرب الصليبية قبل هذه التفجيرات، وقالت: «لذلك بادرت أمريكا بعمل تلك المسرحية المسماة «١١ سبتمبر» لتضفي على حربها الصليبية الضارية شرعية دولية، وبدأ بوش حملته المسعورة معلنًا «أنها حرب صليبية» مثلما بدأ ريجان حملته لاقتلاع اليسار.

وتقول «مسرحية» الحادي عشر من سبتمبر؛ لأن الحقيقة التي لاحت لكافة المشاهدين أن عملية تدمير الأبراج الثلاثة -وليس البرجين فقط- والبرج الثالث كان يأوي بعض مخازن ومكاتب المخابرات المركزية الأمريكية، أن عملية التفجير والانهيار تمت بما يطلق عليه في عالم الهندسة «التدمير تحت السيطرة»، ذلك لأن المباني على ارتفاعها واختلاف أماكن إصابتها قد انهارت على نفسها ولم تخرج عن الإطار المحدد لها. وما أكثر من تناولوا هذه الحقيقة التي تم إخفاؤها؛ لأن المطلوب في نهاية المطاف ليس فضح السياسة الأمريكية، وإنما «اقتلاع الإسلام»)[٢].

□ ويؤيد ذلك الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي، إذ يرى: «أن الإدارة الأمريكية قررت ابتداءً أن الأيدولوجية الإسلامية عدو رئيسي، والمكوّن الرئيسي للثقافة الإسلامية عائق أمام إستراتيجيتها الكونية يجب العمل

(١) نفسه (ص٢٥٢).

(٢) د/ زينب عبد العزيز «حرب صليبية بكل المقاييس» (ص٤٢)، دار الكتاب العربي - دمشق/ القاهرة ٢٠٠٣م.

على القضاء عليه..».

.. ومن ثم فإن ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ليس يومًا فاصلًا في تاريخ النظام الدولي، فلو لم يكن ما حدث في ذلك اليوم قد حدث، فما حدث بعده كان سيحدث، أما اليوم الفاصل الحقيقي فهو يوم تسلّم المحافظين الجدد المسيحيين الصهاينة البيت الأبيض في يناير ٢٠٠١م [(١)].

المسلمون واللحَّاق بالعصر:

إن من يقرأ كتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» يستخلص منه بصورة واضحة القيم والمبادئ الإسلامية العليا التي حققها السلف في سلوكهم العملي في ميادين الحياة على سعتها، ويعطينا نماذج عن الجناح الثقافي لحضارتنا الإسلامية.

ولما كانت الحضارة تقوم على جناحين:

١ - الثقافة والعلم التجريبي، فإنه لا يعوز المسلمين اللحاق بالعصر لاستكمال الجناح الثاني لحضارتنا، إذ لا زالت الأمة تحتفظ بطاقات بشرية واقتصادية هائلة، فهي تستطيع بعلمائها أن تقتحم القرن الواحد والعشرين بالتنسيق والتعاون والمثابرة على العمل المنظم وفق تخطيط محكم وتعاون بين العلماء بكافة فروع العلم.

ونستند في هذا الحكم إلى مثالين معاصريْن:

الأول: التجربة في ماليزيا، حيث بزغت شمس تجربة جديدة تجمع بين الإسلام والتنمية الاقتصادية والتكنولوجية.

(١) مقال بعنوان: «المواجهة بديل الدبلوماسية في التعامل مع الأيدولوجية الإسلامية بوش يسعى لفرض حرب دينية على أجندة رؤساء القرن الـ ٢١» بقلم محمد عبد الهادي، الأهرام ١٦ رمضان ١٤٢٧هـ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٦م.

□ يقول الدكتور محاضير محمد: «لقد ظللنا مؤمنين وملتزمين بالإسلام نستهدي به ونحن فيما نصبوا إليه من تقدّم مادي، لا ننسى ديننا أو نتركه جانبًا»[١].

الثاني: نجاح باكستان في صنع برنامج نووي، يقول البروفسور عبد القدير خان –أبو القنبلة الباكستانية-: «إن المشروع النووي الباكستاني بكل معانيه هو قصة بطولية لإرادتنا الوطنية وتفوّقنا، إنه رمز للدولة الكريمة التي ترفض الخضوع لأعدائها وتعتمد على نفسها وشعبها»[٢].

ونحن بذلك نستنهض الهمم العالية لتحقيق نموذج إسلامي يجذب العالم نحو الإسلام، إذا لو استطاعت بعض الدول الإسلامية، في العصر الحاضر، أن تقوم بالتجربة الإسلامية العقائدية، لقدَّمت مثالًا عمليًّا منظورًا لإمكانيّة الحل والخلاص من بأس الحضارة المعاصرة، ولحقَّقت بذلك هدفيْن:

أولهما: إنقاذ الإنسان الشرقي المسلم من مأساة وجود المتغرّب المريض.

وثانيهما: حمل رسالتها الحضارية، للعالم الغربي الذي ينتظر الخلاص»[٣].

---

(١) مجلة «العالم الإسلامي» مكة المكرمة ١٥- ٢١ ذو القعدة سنة ١٤١٧هـ - ٢٤- ٣٠ مارس سنة ١٩٩٧م.

(٢) مجلة «المختار الإسلامي» -العدد ١٦٩ ١٥ رمضان سنة ١٤١٧هـ- ٢٣ يناير سنة ١٩٩٧م (ص٥٢) وما بعدها.

(٣) د/عماد الدين خليل «تهافت العلمانية» (ص١٦٧)- مؤسسة الرسالة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م. ويرى الدكتور مراد هوفمان – السفير الألماني المهتدي للإسلام- أن هذه الطريقة هي أقوى الطرق في الدعوة إلى الإسلام، وتناسب عقلية الإنسان الغربي الذي يقتنع عن طريق الواقع.

وفي الختام نرى أنه يتضَّح لمن يقرأ كتاب «صلاح الأمة في علّو الهمة» أن الدكتور/ سيد العفاني اختصر الطريق -لكل من يريد الاطلاع على التراث الإسلامي الضخم- والمتراكم عبر القرون- إذ قدَّم نماذج مختارة بعناية تعطي صورة متكاملة لحضارة الإسلام في كافة شُعَب الحياة الإنسانية.

وجدير بمحتويات الكتاب أن يأخذ نصيبه من اهتمام علماء التربية والاجتماع والسياسة والأخلاق لكل تحتل موضوعاته نصيبها في دراساتهم وبحوثهم بالمدارس والجامعات، ولكي تتصل الأجيال الجديدة بحضارة الآباء والأجداد، بدلًا من التبعية للثقافة الغربية التي فرضها عليها الاستعمار، ومن ثم تتحقق الحرية الحقيقية فضلًا عن العودة إلى الأصالة.

وما عدنا ننخدع بالضجيج الإعلامي حول مؤلفات فئة معينة – من القوميين والعلمانيين والحداثيين- وكأنها وحدها المعبرَّة عن ثقافة الأمة، واتهام مخالفيها بالجهل والرجعية أو الأصولية، وهو ناجم عن الخلط بين «التحديث التكنولوجي المادي والتحديث الثقافي، حينما وصل انبهارنا بالعقل الغربي –مع التقليل من شأن العقل العربي بدرجات متفاوتة بين الاحتقار والتجاهل- إلى تبَنِّي كل ما هو غربي بصرف النظر عن اختلافه، بل تفاهته بالنسبة للغربيين أنفسهم»[1].

---

(١) د/ عبد العزيز حموده «المرايا المقعرَّة – نحو نظرية نقدية عربية» (ص٤٧) كتاب عالم المعرفة بالكويت –العدد ٢٧٢- جمادى الأولى ١٤٢٢هـ- أغسطس سنة ٢٠٠١م، وأورد الدكتور عبد العزيز بكتابه واقعة مذهلة، فبرجوعه إلى كتاب باحثة إنجليزية بعنوان «من دفع أجرة العازف؟» مثبت لديه دور المخابرات الأمريكية والبريطانية في تمويل الأنشطة الثقافية في أنحاء العالم، بما في ذلك الأنشطة الحداثية بالطبع!»
=



وقد آن لنا أن نتأكد من الصلة الوثيقة بين هزيمة الأمة وتجاربها الفاشلة عند تطبيق المشاريع الوافدة بعد هجر تراثها.

إن هذه التجارب تحمل في طياتها تذكيرنا بالتحذير الإلهي إذا مضينا - غير آبهين- نقلِّد حضارة الغرب في مساوئها، فباسم التقدّم «الزائف» تتساقط علينا الأفلام الهابطة والمسرحيات اللامعقولة ومؤلفات العلمانيين وأدب الحداثيين، وكلها تهدف إلى التحطيم، لا الإبداع كما يدَّعون.

نسأل الله تعالى أَنْ يكتب هذا العمل العلمي المتميّز الذي أخذ من لحم ودم المؤلف الفاضل الدكتور/ سيد العفاني في صحيفة حسناته، وأن ينفع به المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللهم على محمد النبي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وكتبه

أ.د/ مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ١٦ شوال سنة ١٤٢٩هـ - ١٦ أكتوبر سنة ٢٠٠٨م

إضافة: قال الشيخ الدكتور مصطفى بن محمد حلمي للأخ أحمد إبراهيم الذي تسلَّم منه المقدمة ليأتي بها إليَّ: «هذا الكتاب تراث سيظل إلى يوم القيامة».

(ص٧٣) إن إذاعة هذا السرّ يدعو إلى الخزي والعار لمن له حس وشعور الخزي.

مُقدِّمة

بقلم الشيخ/ **أحمد بن محمد بن أبي عيسى** رَحِمَهُ اللَّهُ
إمام مسجد العزيز بالله سابقًا

في حياة الأمم فترات عز وعلو حين تعلو هِمم أبنائها، وفترات ذل وهُويٍّ حين تذبل همم أبنائها وتتدنى فهي تتفاضل وتتسامى أو تتضاءل وتتهاوى، وإنما يكون ذلك بانتمائها وولائها ومرجعيتها؛ فإن كان هذا الانتماء والولاء والمرجعية لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهي إلى علو، وإن كان للبشر وما يشرعون فهي إلى سقوط وهُوِيٍّ، ولذلك كان عز الأمة المسلمة في خروجها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وخروجها من ذل الجاهليات إلى عز الإسلام.

وبين يديك -أيها القارئ الكريم- سفر عظيم أنفق فيه صاحبه زمانًا من حياته كان أشدها ابتلاءً أو تمحيصًا، وبين الابتلاء والتمحيص كان مولد هذا الكتاب الجليل، فكانت المحنة التي أنجبت المنحة والضيق الذي أثمر فرجًا واليسر الذي جعله الله بعد العسر، وكأن الله سبحانه أراد بقدرته أن يظهر الكتاب والأمة المسلمة في أشد كربها وأذل حالها وأرذل أهلها إلَّا ممن جعلهم الله نورًا يهدي، وعلاماتٍ على الخير ترشد، ومن عجب أن أمةَ الإسلام -وهي تحتل أغنى بقاع الأرض، وأوسط مواقعها- لا تملك قوتها ولا تصنع قوَّتها فكانت لقمة هضيمة في بطون أحط أهل الأرض وأصبح أبناؤها -إلَّا من رحم الله- غثاء سيل حطه الماء من علٍ.

وإذ أشارك بجهد المقل في التقديم للكتاب، فإنما ذلك شرف ساقه الله إليَّ، فلا يزداد الكتاب به فضلًا، إنما يزيد فيَّ ذلك فضلًا وشرفًا.

وقدر هذا الكتاب أنه مقتبس من الكتاب المجيد ومغترف من سنة سيد أولي الألباب ﷺ ممثلًا في حياة سلف هذه الأمة وبقيتهم الذين علت هممهم واستقامت على الحق طريقهم ولكأني أرى مؤلفنا العظيم واحدًا منهم ابتعثه الله إلينا من وراء حجب الزمان ليوقظ الأمة من غفوتها وليقيمها من كبوتها ويقيلها من عثرتها بهذا الكتاب الذي حوى علمًا نافعًا انتفع به صاحبه فراح ينفع به غيره، وكأن ذلك ترجمة داعية للحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقيَّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله به الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به**»، فكان الحديث -من بين معانيه الكثيرة- نصًا في علو الهمة ودناءتها. فأصحاب الهمم العالية رفعوا رؤوسهم فقبلوا هدى الله الذي جاء به رسول الله ﷺ، والذين تدنَّت هممهم فتدلت هاماتهم فأصبحوا أعلامًا على كثير من التحوت والرويبضات التي امتلأ بها زماننا النكد.. يمثلون دناءة الهمة في حضيض دركاتها.

والكتاب -بهذا التأصيل- يعتبر بحق **عز الموحدين وزاد الدعاة المخلصين وموقظ الولاة الغافلين، ومؤنة التقاة، وهداية العصاة، وسلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ووقود المجاهدين وعدة القانتين وهناءة الراكعين الساجدين وزينة أهل الخلق القويم، ومطهر النفس من**

كل مرذول سقيم، وباعث الأمل في الآيسين، ودليل التائهين وحادي السراة في الليل البهيم وبغية الراجين رحمة رب العالمين.

وأشهد -وأنا واحد من تلامذة الشيخ الجليل- وقد شرفني الله تعالى بالدعوة إليه منذ فترة لا تكاد تربو على بضع سنوات -أن هذا الكتاب مؤنسي -بعد كتاب الله- في وحدتي، ورفيقي في خلوتي وبهجتي في قراءتي، آنس به كما يأنس الحبيب بحبيبه، وآوي إليه كما يأوي الخليل إلى خليله..

والله أسألُ أن ينفع شباب هذه الأمة بهذا العمل الجليل فقد أغنى عن مطالعات عشرات بل مئات المجلدات التي صنفها سلفنا الصالح، وأقام به صاحبه الحجة وأعذر إلى ربه. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينه، كما أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل رفعةً لصاحبه في الدنيا ورحمة له في الآخرة وباعثًا له لتقديم المزيد لأبناء أمة الإسلام الحيارى في دياجير الظلام..

والله من وراء القصد

أحمد بن محمد بن أبي عيسى



مُقَدِّمَة

بقلم فضيلة الأستاذ/ **الدكتور فتحي بن محمد جمعة**
الخبير بمجمع اللغة العربية
والأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. الفضل بيده عَزَّ وَجَلَّ، والعَوْنُ منه، والهُدَى هداه.

والصلاة والسلام على النبيّ العربي الأمي، خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تحدث القرآن الكريم في مواضع مختلفة منه عن أمة عظيمة شامخة عزيزة سامقة، هي أمة الإسلام التي أُعِدَّتْ لقيادة البشر كلهم أجمعين – بدين الله تعالى- إلى الخير والفلاح والهدى والسداد. ولعل هذا –والله تعالى أعلم- بعض ما يدل عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران].

هكذا تحددت ملامح المنهج العمليِّ الإيجابيّ للمؤمنين بهذا الدين.

الدعوة إلى الخير –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-، وإنه لواجبهم العام؛ يقومون به، وينهضون بتبعته في آماد الزمان وأرجاء المكان بلا تخاذل ولا تراجع ولا فتور [1].

---

(١) التعبير بصيغة الاستقبال يدل على ذلك ويؤكد معناه، والله أعلم.

ومن أجل ذلك وَصَفَ الكتاب الحكيم أمته الحاملة لأمانته، والناهضة بمسؤولية دعوته بصفات جليلة سامية لم يعرف مثلها في أمة أخرى من قبلها ولا من بعدها!.

ومن أجَلّ هذه الصفات القرآنيّة لأمة القرآن -ثلاث باسقات، وهي:

١- الخيريَّة.

٢- الوسطيّة.

٣- الأعلوية.

الصفة الأولى، وهي: الخيريّة:

* وتعني أنها أفضل الأمم على الإطلاق؛ لأنها كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويدل على هذه الأفضلية المطلقة تنكير لفظ «خير» -مع أنه صيغة تفضيل- فيما هو مقرر معلوم من قواعد اللغة العربية.

غير أن هذه «الخيرية» ليست «مِنْحة» تأخذها بغير حقها. وإنما استحقّتْها بمَا تؤدي من عمل وما تحتمل من أمانة في هداية البشر، وإصلاح الفساد، وملاحقة شرور الأشرار في كل مكان.

وقد نصّتْ بقية الآية على ذلك نصًّا صريحًا في قول الله تعالى: ﴿ ..تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾.

الصفة الثانية، وهي: «الوسطية».

* قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ .. ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

والوسطية هنا لا تعني البينيّة، بل تعني التميّز والصدارة والحكمة

والسداد والرياسة [(١)].

ولا صلة لها بما يروّج له المنهزمون من أنها تعني الاعتدال أو التسامح، والمعنى -والله أعلم- أنهم خيار الأمم وعُدولهم.

والصفتان -كما ترى- متكاملتان كل منهما تؤكد صاحبتها وتكملها.

والصفة الثالثة هي الأعلوية، وهي: ثمرة للخيريّة والوسطية معًا. فهي بين الأمم أعزُّها وأعلاها وأمْجَدُها؛ إذ هي خيرها والوسط بينها.

وقد خاطبها رب العالمين بهذه الصفة مرتين في موضعين كلاهما يدعو إلى العزة بالإيمان والاستعلاء باليقين.

أولهما في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾.

والآخر قوله تعالى في سورة القتال «محمد»: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

إن رجال الإسلام الأولين -وهم المعنيون بهذه الخلال والمستحقون لتلك الأوصاف -لم ينالوها حَيْفًا، ولم يأخذوها انتهابًا -حاشا لله تعالى علوًّا كبيرًا-. بل نالوا ما نالوا بما عملوا فأحسنوا وبما جاهدوا فصدقوا وصبروا.

لقد ربّاهم ربهم عَزَّ وَجَلَّ ثم رسوله ﷺ بما أُوحي إليه على أن يكونوا عظماء يتطلعون إلى العظائم، ويفعلون الكرائم، ويصبرون على الشدائد ويطلبون المعالي. فاستَعْلَوْا على الدنيا، وقهروا في دواخلهم نوازع الشهوة

---

(١) انظر: «القرطبي» وغيره من المفسرين. وانظر أيضًا «اللسان» و«القاموس» وغيرهما من معجمات اللغة في مادة (وسط).

البهيميَّة ومُسْتزلات الغريزة.

لقد كانت تربية فريدة صهرتهم، وصقلت نفوسهم، وسمت بأرواحهم وأمدتهم بمدد وقيم من قوة النفس ، ورباطة الجأش وصلابة الإرادة.

وآية ذلك وبرهانه أنه حين أسرف صناديد المشركين في إيذاء المستضعفين من المسلمين؛ بل تجاوزوا إلى سائر المسلمين ذهب من ذهب إلى رسول الله ﷺ محزونين ضجرين ثم قال قائل منهم: ألا تدعو لنا؟! ألا تستنصر لنا؟!

فلم يجبهم المعلّم العظيم والمربِّي الحكيم ﷺ إلى طلبهم بأن يجمعهم في صعيد واحد، ثم يدعو –وهو المستجاب الدعاء بإذن الله–، لكنه ردَّهم إلى ما يقتضيه الإيمان ويتطلّبه اليقين من الصبر والقوة والصلابة؛ لأن الأمر لا يقف عندهم ولا يقتصر عليهم في عهدهم وفي وطنهم بل إنه يتعلق بمسيرة الإيمان وانطلاقة المؤمنين في كل مكان إلى نهاية الزمان.

هذا ما أدركوه وتنبهوا إليه من جواب المصطفى ﷺ عن سؤالهم، بل من رده لاعتراضهم وإنكاره لشكايتهم: «**فيمن قبلكم كان يُؤْتَى بالرجل فيوضع المنشار على مفرق رأسه، ثم يُقَدُّ نصفين فما يفتنه ذلك عن دينه**» إلى آخر الحديث الطويل.

□ بمثل هذا «التأسيس» على قوة النفس، وعزة الإيمان خاطبهم ربهم تبارك وتعالى في كتابه العزيز بما يغرس في قلوبهم معاني القوة، ويستثير في أعماقهم مشاعر النخوة التي تستوجب الصبر والثبات: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة].

□ وقد أثمرت هذه التربية ثمارها، وآتت أكلها فتكونت أمةٌ استحقت أن تكون بحق أعظم أمة عرفها التاريخ كل التاريخ -إذ كان كل واحد من آحاد هذه الأمة قرآنًا يمشي على الأرض-. لقد استجابوا لربهم، واجتهدوا في عبادته كما جاهدوا فيه سبحانه حق جهاده. بهذا أخبرنا القرآن عنهم وحدثنا عن وصف العليم الخبير سبحانه وتعالى لهم وثنائه عليهم.

في العبادة والطاعة، كان منهم ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾ [النور].

ومنهم: ﴿ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ ﴾ [الزمر: ٣٩].

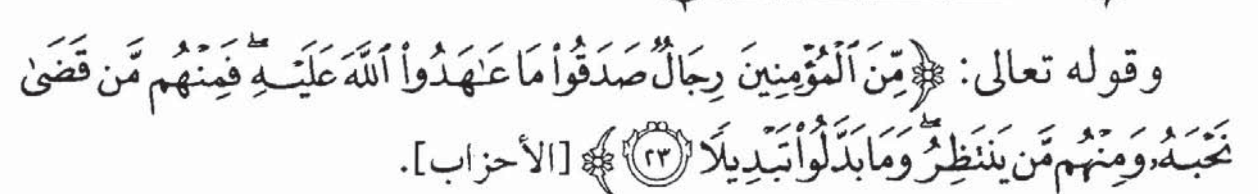
وكثير منهم: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) ﴾ [الذاريات].

وفي التواصل والتراحم والتعاون والإيثار تكون منهم -بتمكُّن الإيمان من قلوبهم ونفاذه إلى أعماقهم وتربية الرسول العظيم لهم- مجتمع نوراني طاهر فيه كل ما قد قيل أو يمكن أن يقال عن ما يسمى «المدينة

الفاضلة» يتقاصر دون هذا المجتمع العظيم الذي تحقق فعلًا على الأرض لا في تصورات الفلاسفة أو خيالات المفكرين، وهو ما صورته آيات ثلاث في سورة الحشر تصويرًا جليلًا جميلًا نبيلًا. وبيّنه بيانًا معجزًا باقيًا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر].

ومع هذا التراحم المعجز الفذّ نراهم في ساحة الوغى وميدان الجهاد أبطالًا مغاوير، وأسودًا جبابير، يُقْدِمون لا يجحدون، ويُقْبِلون لا يُدْبِرون يطلبون موت الشهادة كطلب عدوهم للحياة. ومهما قال القائلون ومهما نظم الشعراء أو خطب البلغاء من الخطباء في مدحهم وتعداد مناقبهم أو بيان مآثرهم لن يبلغ ذلك وصفهم وبيان أعمالهم في آيات الذكر الحكيم. فهل نجد وصفًا أعظم أو بيانًا أجمل ممّا وصفهم به رب العالمين وأثبته لهم وأثنى به عليهم في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح].



وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

لقد كانوا «رهبان الليل» وكذلك كانوا «فرسان النهار» على نحو ما كتب الشيخ الموفق المسدّد إن شاء الله حبيبنا في الله **الدكتور السيد حسين عفاني**.

غير أنهم ما كانوا ليفعلوا شيئًا مما فعلوه، أو يدركوا شيئًا مما أدركوه لو لم يتربَّوْا على هذه المحامد، ويُنَشَّؤوا على تلك المناقب التي عَلَتْ بهمتهم وسَمَتْ بنفوسهم، واستجمعت قوى الخير جميعًا لديهم فانطلقوا بهممهم العالية وعزائمهم الماضية، يرفعون لواء الإسلام ويركزون رايته الشامخة في مشارق الأرض ومغاربها رعاية الله تكلؤهم، وعينه عَزَّ وَجَلَّ تحرسهم، ونصره المبين يؤيدهم فأقبلت الشعوب عليهم ورحبت بهم ﴿ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر] وكل ذلك في مدًى من الزمان قصير جدًّا قصير؛ ما يتجاوز القرن إلَّا بيسير. وقد تحدث الشيخ المجتهد الموفق الدكتور محمد إسماعيل عن هذا المعنى فأحسن وأجمل وأجاد؛ إذ قال –حفظه الله– في مقدمته الموجزة المعبرة لكتاب علو الهمة: «أما بعد، ففي قرن وبعض قرن، وثب المسلمون وثبة ملأوا بها الأرض قوة وبأسًا وحكمةً، وعلمًا، ونورًا وهداية، فراضوا الأمم وهاضوا الممالك ورفعوا ألويتهم في قلب آسيا وأطراف وأوربا وتركوا دينهم وشرعتهم ولغتهم وعلمهم وأدبهم، تدين لها القلوب وتتقلب بها الألسنة...».

ثم؟!

تبدّل الأمر غير الأمر والحال غير الحال ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ﴾ [مريم: ٥٩].

نعم فأكثر المسلمين اليوم خَلْفٌ غير صالح لسلفهم العظيم: أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم، وانطلقوا يشبعون غرائزهم، ويفتنُّون في اصطناع الوسائل بعد الوسائل لتحصيل اللذة الفانية وإدراك المتعة الزائلة، استزلهم الشيطان واستحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله. وانفردت الرغبة في الاستكثار من الدنيا ومتاعها بمشاعرها ومساعيهم فخارت عزائمهم، وذهبت قواهم وتدنّت هممهم فانحدرت من الارتفاع إلى الهبوط ومن العلُوّ إلى «السفول» وهكذا استبدلوا بالعز ذلًّا، وبالقوة ضعفًا، وبالأمن خوفًا، وبالعلم جهلًا، ثم تجاوز الضعف أبدانهم إلى نفوسهم فاستبدّ جموعهم إلى قطعْان ذليلة أسلمت أمرها إلى عدوها الذئب فجعل يجوس خلالها ويعيث فساده فيها، ويطأ بنعليه رؤوسها وهي مهينة خانعة، لا تحرك ساكنًا، ولا تُسْمع قولًا ولا تُحْدِث فعلًا؛ بل قبلت الخَسْف، ورضيت الضيم! هانَتْ على نفسها، فتضاعف لدى العالمين هوانُها! ثمَّ صارت إلى مصار إليه «ذليلًا» المتلمِّسُ في كلمته الرائعة:

إن الهوان حمارُ البيتَ يألفه ... والحرُّ ينكره والفيلُ والأسَدُ
ولا يقيم بدار الذلّ يألفها ... إلَّا الذليلان: عَيْرُ الحيّ والوتد
هذا على الخَسْف مربوط برمَّته ... وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحد

هذا بعض الحال عند الخَلْف الذي خَلَف بعد سلف عظيم تحول به مجرى التاريخ. بل نقول غير مبالغين لقد أعاد هذا السلف كتابة التاريخ.

فما الفرق؟!!

الفرق في المسافة الكبيرة بين درجة العلوّ ودَرْك السفول إذْ كانت

الأولى حق الأولين جزاءً وِفاقًا للآخرين.

فإن يكن للأمة مطمح للنجاة، ومَطْمعٌ في استرداد بعض ما كان لها فلا بدليل لها من شحذ قواها في إعلاء همتها، وإمضاء عزيمتها عسى أن تدرك بعضًا من مؤخرة القافلة التي توشك أن تتوارى عن الأمة فلا تجد أثرًا ولا تستبقي ذكرًا.

✍ فلقد كان أخونا الحبيب في الله تعالى موفقًا كلّ التوفيق في اختيار هذا المعنى الكبير، لجعله موضوعًا لتصنيفه وقاعدة لتأليفه الذي كانت ثمرته هذا السفر القيم الكبير وكذلك كان -أحسن الله تعالى إليه وأثابه- موفّقًا ومسدّدًا بفضل الله تعالى عليه ورحمته -في هذا الاستقصاء المحيط لعناصر الهمة العالية، وأحسب أنه أحصى أكثر هذه العناصر فلم يفلت منها -في تصنيفه الكبير- إِلَّا القليل؛ لقد ارتاد بنا الآفاق بعد الآفاق في معاني علو الهمّة وميادينها ومجالاتها وأعمالها.

يأخذ رفيقًا رقيقًا بأيدينا من فَنَن إلى فنن في أفنائها -ومن روضة إلى روضة في رياضها، ومن دَوْحة إلى دوحة في دَوْحها.

✍ وهكذا ينقلنا من علو الهمة في الأعمال إلى علو الهمة في العاملين فنسيح في رياض الكتاب من روضة الإخلاص ومجالاته والمخلصين وأعاجيبهم إلى روضة العلم وطلبه وطرائف طالبيه من القدامى إلى المحدثين. ثم يخطو بينا إلى علو الهمة في الدعوة، فيستقصي -حفظه الله- معالمها وأركانها وخواصها ثم يتبع ذلك بحديث مستفيض عن أشهر الدعاة في التاريخ، يقدم في ذلك معلومات وحقائق أحسب أنها كانت غير معلومة لكثير من الناس قبل تفتيشه عنها وتقديمه لها، كحديثه الطويل عن المهندس محمد توفيق المصري الذي أسلم على يديه أربعة آلاف من

الأجانب، ويخطو إلى العبادات فيأتي على معنى علو الهمة فيها واحدة بعد أخرى، ثم مع الإشارات الكثيرة المؤثرة عن طرف من قصص العابدين، ثم الجهاد والمجاهدين وأعاظم القادة بين المسلمين في بيان صادق عميق التأثير لبطولات الأبطال الفاتحين.

✍ وأشهد لقد أحسست في عَرْضه صدقًا نفذ إلى أعماقي حتى فاضت عيناي لمجرد تقليب النظر بين أسماء المجاهدين الفاتحين في فهرس المجلد الذي تضمّن بيان علو الهمة في الجهاد وما اقتضاه من ذكر أخبار القادة العظماء الكبار وبقية المجاهدين، كنت أجهش وأنا أقرأ في الفهرس فقط أسماء المثنى وسعد وأبي عبيدة وعمير بن الحمام ومعاذ بن الجموح ومعوذ ابن عفراء وطلحة بين عبيد الله وحمزة وعلي وخالد -رضي الله عنهم أجمعين-.

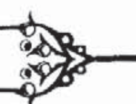
✍ لقد كان بيان أخينا لبعض أعمال أولئك العظماء، وعَرْضه لطرف من أخبارهم أشبه بالملاحم الكبرى المعروفة في التاريخ كما ظهر مثلًا فيما كتبه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه ودائمًا كنت أسأل أين نحن الآن من هؤلاء؟! مَنْ لنا بمئة فقط منهم يرفعون عنا غبار الذل ويغسلون عنا الهوان.

✍ ويمضي الرجل بنا خطوة بعد خطوة في استقصاء معاني عنوانه وعَرْض نماذج كثيرة ومنوّعة لأعلياء[1] الهمة في كل ميدان.

✍ وليس في مقدرونا هنا أن نورد ما أورده أو نتحدث عن جميع ما كتبه في تسعة أسفار كبيرة تبلغ عدة أوراقها بضعة آلاف؛ ومن أجل ذلك

---

(١) أعلياء جمع عليّ كأقوياء وأغنياء في قوي وغنيّ.



أجتزئ بما قدمت مخلّيًا بين الكتاب وقارئه ليستمتع كما استمتعت وينتفع كما انتفعت.

غير أن لي كلمتين أخيرتين إن جاز لي هنا:

أولهما: أن أبحث عن مَثَلٍ بين معاصري الدعاة في علوّ الهمّة. فلن نجد إلَّا قليلًا بطبيعة الحال. لكن هذا القليل ينبغي أن يكون **الشيخ سيد حسين العفاني** منه في المكان الظاهر والمقام الكريم، لقد كنت أرنو إلى الأسفار التسعة في مكانها من مكتبتي فأتساءل -وأنا أتمتم بالدعاء لكاتبها-!

كم كتابًا قرأ... كم مرجعًا، إليه رجع...؟!!

كم مصدرًا، عنه صَدَر..؟!!

ومتى فعل ذلك كله؟ وكيف أمكنه أن يستقصي المعاني والوقائع والأخبار؟

كم؟ متى؟ كيف؟؟؟ مع أدوات استفهام كثيرةٍ أصوغ منها جملًا استفهامية أحاور بها نفسي، ثم أكفّ عن التساؤل لأخرج إلى «التقرير»؟

إن «علو الهمة» الذي أهم (سيد عفاني) فجمع له وكتب عنه، لَهُوَ الوصفُ الجدير به والمُسْتَحَقُّ له؛ فلولا همته وعزيمته ما استطاع أن يصبر نفسه ما صبر، وأن يسهر الليالي ذوات العدد قارئًا ومتأمّلًا وناقلًا؛ ليتمّ له هذا العمل الكبير.

نحسبه كذلك والله تعالى حسيبه لا نزكيّ على الله تعالى أحدًا.

والكلمة الأخرى أمنية تمنيتها في تنقُّلي بين فصول الكتاب ومسائله: كثيرًا ما كنت أرجو أن يقلّ الاستطراد وتُقْتَصَدَ في إيراد

الحكايات، والتمثل بالأشعار والأقوال إذًا ليكونن الكتاب الكبير أدنى إلى الكمال وأوْصَل بالجمال إن شاء الله تعالى.

✍ هذا وإذا كان أخي الحبيب في الله تعالى قد رغب إليّ في التَّقديم لكتابه مع السابقين الأكثرين فإن ذلك منه، مكرمة لي، وبِرٌّ بي وحُسْنُ ظنّ دفعه إلى أن يسلكني في سبيل الطيبين من العلماء العاملين ولكني أعرف من قدر نفسي أني لست أهلًا لذلك ولا جديرًا به، فأسأل الله تعالى أن يحسن إليه ويثيبه ويصنع له وأن يبارك في عمله وعلمه واجتهاده وسعيه وأن يرزقه الإخلاص ويكتب له القبول. وأن يجعلنا وإياه مع الصادقين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى رحمة ربه وإلى عفوه

أبو محمد فتحي بن محمد جمعة

منشية البكري القاهرة، بعد منتصف

ليلة الأربعاء الثالث من ذي الحجة عام ١٤٢٨هـ



مُقَدِّمَة

بقلم الشيخ الدكتور/ **عبد الله شاكر**
نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحد والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في زمن قل فيه الصادقون الأتقياء، وساد فيه أهل الفتن والأهواء، قام بعض أولي الأحلام والنهى بدعوة الأمة إلى الارتفاع عن سفاسف الأمور والأحوال، وقطع السبيل والسفر الطويل للمنافسة في الخيرات، والاستباق إلى الطاعات، وترك أصحاب الدنايا والبليات والاقتداء بأعلى الناس همة وسيد ولد آدم رسول الله ﷺ، الذي كان يقوم الليل حتى تورمت منه قدماه، وعاش حياته عاملًا مجاهدًا في سبيل ربه ومولاه، وكان يُذكِّر أصحابه بهمم السابقين وعملهم، وصبرهم في سبيل دينهم وربهم، كما جاء في البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة- قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشقُّ باثنين، وما صده ذلك عن دينه، ويمشَّطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلَّا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

• ولنا في رسولنا ﷺ -الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في الهمة العالية لننال بها -بفضل الله- أعلى الدرجات وأفضل المقامات، والعبد

---

(١) رواه البخاري في كتاب «المناقب» باب (٢٥ جـ٦/ ٦١٩).

بهمته ينال عند ربه عظيم الثواب كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**»[1].

وكبير الهمة لا يهمه راحة الجسد ونعيم الدنيا ولذاتها، ولذا تجده دائمًا في عناء وتعب شوقًا إلى اللذة الحقيقية والنعيم المقيم عند رب العالمين.

□ يقول الإمام ابن الجوزي -رحمه الله-: «من رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها كما قال الشاعر:

وإذا كانــت النفــوس كبــارا تعبــت في مرادهــا الأجــسام

□ وقال الآخر:

ولكــل جــسم في النُّحــول بليــةٌ وبلاء جسمي مـن تفـاوت همتـي

وبيان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلها، ولم يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته، وهذا لا يحتمله البدن، ثم يرى أن المراد العمل فيجتهد في قيام الليل وصيام النهار، والجمع بين ذلك وبين العلم صعب، ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج إلى ما لا بد منه، ويحب الإيثار ولا يقدر على البخل، ويتقاضاه الكرم البذل، ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل، فإن هو جرى على طبعه من الكرم، احتاج وافتقر، وتأثر بدنه

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الرقاق» (باب٣١ جـ١١/ ٣٢٣)، ومسلم في كتاب «الإيمان» (باب٥٩ جـ١/ ١١٧).

وعائلته، وإن أمسك فطبعه يأبى ذلك، وفي الجملة يحتاج إلى معاناة وجمع أضداد، فهو أبدًا في نصب لا ينقضي وتعب لا يفرغ.. والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه، وقد رأت الناس عورته، والقصير الهمة لا يبالي بمنن الناس ولا يستقبح سؤالهم ولا يأنف من رد، والعالي الهمة لا يحمل ذلك، ولكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى، وراحة القصير الهمة تعب وشين إن كان ثم فهم، والدنيا دار سباق إلى أعالي المعاني، فينبغي لذي الهمة أن لا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يُلَمْ»[1]، ولقد ضرب سلفنا الصالح نماذج رائعة في الهمة العالية، وقد تفضل عليهم ربهم بذلك، والله يعطي فضله من يشاء، وقد ذخرت كتب السير والتاريخ بسمات أصحاب الهمم العالية، وسأسوق هنا نموذجًا واحدًا فقط من النماذج التي تدفع الهمة إلى طلب القمة في الإيمان والعمل الصالح.

قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري رحمه الله في فضل أصحاب الحديث وطلابه: «هم قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وآله أجمعين، آثروا قطع المفاوز والقفار، على التنعم في الدِّمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار، جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها تكاياهم، وبَوَاريها فرشَهم، نبذوا الدنيا بأسرها وراءَهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وسحرهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلُوقهم المداد،

(١) «صيد الخاطر» (ص٤٠٠، ٤٠١).

ونومهم السُّهاد واصطلاءَهم الضياء، وتوسدهم الحصى، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، وقلوبهم بالرضا في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم»[1].

✍ قلت: لله دَرُّهُم، ما أزكاهم وأطيبهم، وأنعم بقوم سلكوا مسلكهم، وقد كتب بعض العلماء في علو الهمة كتبًا، وبعضهم ذكرها في مصنفاته دفعًا لأولي الألباب إلى تحصيل المراد الذي أعده من رب العباد، ومن هؤلاء **فضيلة الشيخ الدكتور/ سيد بن حسين العفاني صاحب الباع الطويل في التأليف والتسطير، وقد خطَّ يراعه -حفظه الله- كلمات في علو الهمة رائعة، وعبارات فيها فائقة، اقتبسها من سير الأئمة المجتهدين والسلف الصالح، حتى غدت في نفعها كالشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.**

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله منه، وأن يرفعه إلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، وأن ينفع به عموم المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

د/ عبد الله شاكر

بنها في صباح الأربعاء ١٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٧م

---

(١) «معرفة علوم الحديث» (ص٢، ٣).



مُقَدِّمَة

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ/ **طلعت عفيفي**
عميد كلية الدعوة سابقًا بجامعة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، شهادة نحيا بها، ونموت عليها، ونلقي اللهَ بها.

وبعد:

تتعدد أوجه التربية ووسائلها، وتتنوع مناهجها وأساليبها.

ولا غنى لأيٍّ من هذا كله عن القصص والنماذج، التي بها تعلو الهمم، وتشحذ العزائم.

□ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير».

ولأهمية هذه النماذج في عملية التربية احتوى القرآن الكريم على الكثير منها، فهي تشتمل ما يقارب الربع منه، وكذلك احتوت السنة النبوية على الكثير من القصص والنماذج التي أوردها المحدثون في كتبهم.

ومنذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا تتعدد المواقف، وتروى الحكايات عن سلف الأمة الصالح في كثير من نواحي الحياة، وقد احتوت كتب التراجم على الكثير والكثير منها.

□ وفي إشارة إلى ضرورة الاهتمام بهذا القصص، وإبراز تلك المواقف يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «الحكايات عن العلماء ومجالسهم أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم».

□ وقال محمد بن يونس رحمه الله: «ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين».

والكتاب الذي بين أيدينا «صلاح الأمة في علو الهمة» سلك مؤلفه - جزاه اللهُ خيرًا- مسلكًا سديدًا، حيث طرق بنا كافة فروع المعرفة، وحدثنا عن كافة صنوف الطاعات، ومهد لكل مجال بتأصيل نظري يعتمد على الأدلة، ويتبع ذلك بذكر الأمثلة والنماذج التي طوَّف فيها بكافة العصور، واستخرج من كتب التراجم والسير وغيرها ما يدعم ويؤيد ما هو بصدد الحديث عنه، مما يجعله -بحق- مستنهضًا للهمم، ومحفزًا للعزائم.

ويُعَدَّ الكتاب بهذا زادًا لا يستغني عنه المسلمون، وبخاصة الدعاة وطلاب العلم لإصلاح أنفسهم من جانب، وتيسير حصولهم على ما يحتاجون إليه لإصلاح غيرهم من جانب آخر.

وسيجد كل مطلع على هذا الكتاب واحة يستظل بوارف ظلالها، ومعينًا يرتشف من رحيقه، وسيسعد بصحبة سلف الأمة الصالح، الذين رفعوا لواء هذا الدين، وأخلصوا لله رب العالمين.

أسأل الله تعالى أن يجزي الأخ الكريم الدكتور/ سيد حسين العفاني خير الجزاء عما قدَّم في هذا الكتاب وفي غيره من علم نافع، وأسأله تعالى أن يجعله ثقلًا في موازين حسناته، وأن يجبر كسرنا، ويعفو عن تقصيرنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم،،

وكتبه

طلعت محمد عفيفي سالم

مُقَدِّمَة

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور/ **سعيد عبد العظيم**
من علماء الدعوة السلفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فصلاح الحال والشأن بالنسبة للفرد والأمة إنما يتحقق بعلو الهمة في كل ناحية من نواحي الحياة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، تعلقت بالحرب أم بالسلم بالمسجد أو السوق، وضابط ذلك في العلم بطاعة الوقت والاستقامة على منهج الأنبياء والمرسلين، فإقامة منهج العبودية، والسعي في الأخذ بأسباب القوة وأعظمها القوة الإيمانية ورد النفسُ والأمة لمثل ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام هو منهج الصلاح والإصلاح الحقيقي، وبعيدًا عن ذلك فهي مناهج إلى الإفساد أقرب وأصحابها بالمنافقين أشبه قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ [البقرة] ملل ونحل وأديان باطلة، وطنيات وقوميات واشتراكيات وديمقراطيات.. زعم أهلها أن فيها إصلاح البلاد والعباد؛ وما يملكون من الإصلاح إلَّا اسمه، وهؤلاء وغيرهم ممن تباعدوا عن منهج العبودية لله يُقال لهم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ [البقرة] فالأمور كلها على ما عند الله، والدعاوى تحتاج إلى بينات، لقد

أقمنا حضارة على منهاج النبوة ملأت الدنيا ضياءً. وتربى على هذا المنهج الإيماني رجال ربطوا الدنيا بالآخرة والأرض بالسماء ولم يفصلوا بين العلم والعمل ولا بين بعض العبادات والبعض الآخر ولا بين بعض الساعات والبعض الآخر، بل كانت حياتهم طاعة وعبودية لله تعالى يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]. وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

علموا أن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها، علت همتهم في طلب العلم والعبادة في الجهاد والدعوة، عمروا الدنيا بدين الله، واستمسكوا بأخلاقهم الإيمانية في تطورهم وتقدمهم المادي، فصاروا سادة وقادة عبر العصور والدهور لم تخل الأرض منهم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وقد قدر سبحانه أن نعايش الصحوة الإسلامية في بداية السبعينات، وكانت دعوة سلفية مباركة أينعت ثمرتها وآتت أكلها بفضل الله وكان فضيلة الأخ الدكتور/ سيد بن حسين العفاني أحد أبناء هذه الدعوة المباركة حملها على عاتقه وفتح الله على يديه خيرًا كثيرًا، وما زال يشارك - ومنذ عرفناه حتى هذه اللحظة- في ابلاغ الحق للخلق، ما يدخر وسعًا في الانتقال والترحال والتواصل مع إخوانه -نحسبه كذلك والله حسيبه- ووفاء العهد من الدين، فإذا كان الإنسان يمتدح بوفائه للأهل والإخوان

والأصدقاء، فإن الوفاء لهذه الدعوة المباركة ولهذا الدين القيم صورة تنم عن علو همة وتواصل بين السابق واللاحق ومعرفة بطبيعة الطريق وعظم الغاية.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم ونافعًا لعباده المؤمنين، وشحذًا لهمة تكون سببًا لإصلاح هذه الأمة،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

د. سعيد عبد العظيم



مقدمة بقلم فضيلة الشيخ
أحمد فريد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتفرد بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العلم بآجالها، العلم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلآئه، والمتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي خلق الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وأنشأ البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بحكمته إرادته، وألهمهم حسن الإطلاق، وركب فيهم تشعب الأخلاق، فهم على طبقات أقدارهم يمشون، وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾ [المؤمنون].

وأشهد أن لا إله إلَّا الله خالق السماوات العلى، ومنشئ الأرضين والثرى، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، بعثه بالنور المضي، والأمر المرضي، على حين فترة من الرسل، ودروس من السبل فدفع به الطغيان، وأظهر به الإيمان، ورفع دينه على سائر الأديان، فصلى الله عليه وسلم وبارك ما دار في السماء فلك، وما سبح في الملكوت ملك، وسلم تسليمًا.

ثم أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد أيضًا.

فقد سألني أخي الحبيب الهُمام فضيلة الشيخ سيد حسين العفاني، أن أقدم لكتابه «صلاح الأمة على علو الهمة»، ولولا حبي للكتاب ومؤلفه، ورغبتي في صلاح الأمة، وعلو الهمة ما كتبت حرفًا واحدًا، فإن الكتاب غني بذاته عن مقدماته، وقد بذل فيه أخونا الحبيب جهدًا جهيدًا، ووقتًا مديدًا، حتى تقر به عيون المحبين، ويكون قذى في عيون الشانئين والمبغضين، وقد تزينت الطبعة الأولى بمقدمات عديدة لشيوخ كرام، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ويبدو أن أخي الحبيب أراد أن يرفعني في صفهم أو يضمني إلى جمعهم فجزاه الله عني خيرًا.

والكتاب المقدم له غني عن التعريف فكم انتفع به إخواننا من طلاب العلم الشريف، واقتبس منه أصحاب التصانيف، فهو بحر زاخر بأخبار السابقين واللاحقين من أصحاب الهمم العالية في الجهاد، والصبر، وطلب العلم، والعبادة، وقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ علو الهمة في العبادة والدعاء وغير ذلك، وربى على ذلك الصحابة الكرام فكان ﷺ يصلي من الليل حتى ترم ساقاه، وتفطر قدماه، فيقال له: أتفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

بل هو بأبي وأمي ينهى عن الوصال، وكان الصحابة على همة عالية في العبادة، فكانوا يواصلون، وينهاهم النبي ﷺ نهي شفقة وتنزيه، فيقولون: إنك تواصل. فيقول ﷺ: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت لي مُطعمٌ يطعمني وساقٍ يسقيني**».

لها أحــاديث من ذكراك تشـغلها

عن الطعــام وتلهيــهـا عن الزاد

بل من الصحابة الكرام من أراد أن يجتهد اجتهادًا أكثر من اجتهاده ﷺ في العبادة، ظنًّا منه أن النبي ﷺ لا يحتاج إلى كثير من العبادة؛ لأنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فذهب ثلاثة نفرٍ من الصحابة الكرام إلى بيوت النبي ﷺ وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالُّوها. فقال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثاني: وأما أنا فأقوم ولا أنام. وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النساء.

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».. واستأذن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عثمان بن مظعون النبي ﷺ في الاختصاء لترك ملاذ الدنيا والانقطاع لأعمال الآخرة فرد عليهم ﷺ ذلك ولم يأذن فيه. كما علم النبي ﷺ أصحابه الكرام علو الهمة في الدعاء فقال ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن**».

ومضى على علو الهمة في الطاعة والعبادة الجيل المفضل الثاني من هذه الأمة جيل التابعين، فكان في التابعين ثلاثون تابعيًا لو مثل لأحدهم القيامة غدًا ما استطاع أن يزيد شيئًا بل كان فيهم من هو أكثر صلاة وصيامًا وذكرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان الصحابة سبقوا بزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة، وسبقوا بصدقهم، وصبرهم، وحبهم لله عز وجل، ولرسوله ﷺ، قال ابن مسعود للتابعين: لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة، وإنما صلح أمر أول هذه الأمة في الهمة العالية في طلب العلم النافع والعمل الصالح، وفي الجهاد، والدعوة، والبذل،

ولا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلَّا بما صلح عليه أمرًا ولها، كما قال إمام دار الهجرة ملك بن أنس رحمه الله.

فهنيئًا للمسلمين هذه الموسوعة العلمية الزاخرة بالخير «صلاح الأمة في علو الهمة» تستنهض الهمم، وتقوي العزائم، وتأخذ بأيدي القاعدين، والشاردين، والخارجين عن الصراط المستقيم، وأسأل الله تعالى أن يبارك لأخي الحبيب الرباني سيد حسين العفاني في عمره وعمله، وأن يبارك في قلمه ولسانه وعقله وجنانه، حتى يمد المكتبة الإسلامية بمزيد من الموسوعات الرائعة الموفقة، وأن يفتح لها قلوب العباد، وينفع بها الحاضر والباد، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الشيخ أحمد فريد



مقدمة بقلم فضيلة الشيخ الدكتور
ياسر برهامي
من علماء الدعوة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

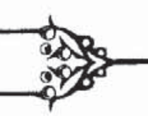
الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن تفاضل الناس في الآخرة أعظم بكثير من تفاضلهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء]، وحقيقة التفاضل عند الله إنما تكون بما وقر في القلوب من حقائق الإيمان وعزائم الإرادات أعظم بكثير من تفاضلهم في صور الأعمال الظاهرة.

والهمم العالية ترفع أصحابها إلى المسابقة إلى رضوان الله تعالى امتثالًا لأمر الله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢١]، وهذه المسابقة تتغير من حال الفرد والأمة فبدلًا من المسابقة على شهوات الدنيا وإرادتها -على الجاه والمال والطعام والشراب، والشهوة الجنسية، والملبس والمسكن والهيئة والتفاخر والتكاثر بكل ذلك مما يجذب الأمة إلى القاع- يتسابق أفراد المجتمع المسلم في أنواع الطاعات الخاصة والعامة وسبل إعلاء الدين ونصرة الإسلام والمسلمين فيرتفع المجتمع كله بفضل الله ويصلح شأنه وتتقدم الأمة إلى ما خلقها الله من أجله وهيأها له من قيادة البشرية على طريق العبودية لرب البرية.

وهذا الكتاب الذي انتفع به الآلاف وتربى على ما احتواه من أسوة



الكثير من الدعاة والمعلمين لأخينا الحبيب فضيلة الشيخ الدكتور سيد العفاني نسأل الله أن يجعل له مزيدًا من القبول والنفع لكتابه وقارئه وناشره ونسأله سبحانه أن يجمعنا في جنته كما جمعنا في الدنيا على طاعته.

وكتبه

الشيخ ياسر برهامي



مقدمة بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
عمر عبد العزيز قرشي
أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وصحبه أهل الوفا والصفا، والتابعين لهم بإحسان ومن على الأثر قد اقتفى،،

أما بعد:

فقد طلب مني أخي الحبيب، فضيلة الشيخ الدكتور/ سيد حسين العفاني، أن أكتب مقدمة لكتابه «صلاح الأمة في علو الهمة».

فقلت في نفسي: ومن أنا حتى أقدم لمثل هذا الكتاب، الذي بلغ القمة، وقد سبقني في التقدمة له جهابذة علماء الأمة، ولكن طاب لي أن أدلي بدلوي في هذا المضمار عسى أن أكون واحدًا من ذوي الهمة، أو أن أنال مع الأحباب شرف صلاح الأمة.

وقد قيل في الحِكم: «رجل ذو همة، يحيي أمة».

وأخونا الدكتور/ سيد العفاني، واحد من هؤلاء الرجال، صاحب قلم سيال، مفضال، وتواضع جم، وخُلق أشم، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

إذا نظرنا في كتبه وجدناها أسفار جامعة، في موضوعها لم تترك شاردة ولا واردة، فمن منا يتخيل إذا تكلم في موضوع مثل صلاح الأمة أن يكتب فيه تسع مجلدات ذاخرة، وكذا كتابه «وا محمداه» وأيضًا «وا قدساه»

إلخ فإن الرجل -والرجال قليل- يلم بأطراف الموضوع، جمعًا وتحقيقًا وتعليقًا، ولو قدر وجود مثل هذا الرجل وتلك الفكرة لجمعتا شتات مكتباتنا في مثل هذه الموسوعات التي تخدم قضيتها من كل أطرافها.

كما أود -في ذات الوقت- لو قدر لهذه الكتب أن تختصر في رسائل ليعم نفعها، ويسهل تناولها، ويتسع مجالها، فليس كل طلبة العلم يستطيع أن يشتري أو يقرأ تلك المجلدات، وذلك لضيق الأوقات، مع قلة النفقات.

وعلى الجملة فماذا أقول في تقدمة كتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» وقد أردت أن أشير إلى عناوين موضوعاته فعجز قلمي عن ذلك، فكيف بما احتواه في مضمونه؟ بارك الله شيخًا خطت يداه هذا الكتاب، وجمع تلك الأبواب، واحتوى كل هؤلاء العلماء، واستوعب أولئك العظماء، فهنيئًا له على ما أسدى للمسلمين، ونفع الله به المؤمنين، وهدى الله به إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، وجزى الله خيرًا كل من ساهم في هذا الكتاب، جمعًا وتأليفًا وتقديمًا وطباعة وإخراجًا؛ حتى خرج بتلك الصورة الطيبة، والهيئة الجميلة، والطباعة الفاخرة، والمراجعة الباهرة،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

وكتبه

أبو حفص عمر عبد العزيز قرشي



مقدمة بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
بدران العيّاري
أستاذ الحديث بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علا بقهره فوق جميع مخلوقاته وارتفع ، وأوجد جميع الكائنات بقدرته واخترع ، راحم من انطرح بين يديه وخضع ، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه وأنيب.

وأشهد أن الله لا رب غيره ... كريم رحيم يُرتجى ويؤملُ
قريب مجيب يستجيب لمن دعا ... جواد إذا أعطى العطا يتجزل
يسح من الإحسان سحا علي ... وهوب جواد محسن متفضل
له ترفع الأعمال في كل لحظة ... بأيدي كرام كاتبين وتحمل
عليه اعتمادي واتكالي ورغبتي ... وإصلاح شأني مجمل ومفصل(١)

أما بعد:

فكلامنا هنا عن المصنِّف والكتاب

أما المصنِّف : فهو أخي في الله الدكتور الشيخ سيد بن حسين العفاني كاتب الصحوة، المعروف باستيفائه البالغ وتقصيه الشامل الذي إذا كتب في قضية أشبعها، وأغلق الباب على من وراءه فيها.

---

(١) الاستهلال والأبيات من «عقود اللؤلؤ» والمرجان للشيخ إبراهيم القصيمي (٩/ ١٢٠) نقلاً عن صراطنا المستقيم «الرسالة الأولي من سلسلة مواعظ داعية» للداعية المبدع محمد أحمد الراشد (ص١).

ترى ذلك واضحًا جليًا في كتاباته المتعددة مثل: رهبان الليل، وفرسان النهار،وسكب العبرات، ونداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان ، وترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله، والجزاء من جنس العمل، وزهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين وغيرها كثير.

هذا مع براعة في الاستهلال، وشمولية في البحث تتضمن جوانب الأدب والفكر والسياسة والتاريخ، وأخبار العلماء والعباد والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، مع تقييم المواقف والرجال بميزان الكتاب والسنة مع جرأة في قول الحق أحسبه كذلك والله حسيبه.

وأما الكتاب فهو «صلاح الأمة في علو الهمة» الذي يعتبر شرحًا تفصيليًّا لكتاب علو الهمة لشيخنا أبي الفرج محمد بن إسماعيل حفظه الله.

لكن تميز الأخير بأن أتى بكل شاردة وواردة في الموضوع.

ويعتبر الكتاب أكبر زاد للدعاة والخطباء في هذه القضية التي هي محور الارتكاز في الإصلاح والبناء، فتكلم عن علو الهمة في العبادة، والدعوة إلي الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والصيام، والزكاة، والصبر والتضحية، وأكثر من النماذج الواقعية العملية التي تشحذ الهمم وتدفع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد زاد المؤلف فصولًا جديدةً ماتعة في هذه الطبعة تتعلق بأخطر مسألتين في حياة المكلفين وهما : التوحيد والاتباع إذ لا نجاة للمرء إلا بتجريد التوحيد لله رب العالمين، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ.

وأرجو الله تعالى أن يُهيئ للدكتور سيد أن يدون كتابًا عن القرآن الكريم يبين منزلته وفضل حفظته والجهود المبذولة عبر القرون في خدمة الكتاب العزيز إلى غير ذلك مما تمس إليه حاجة المكتبة الإسلامية، وأسأل

الله تعالى أن يوفقه لكل خير وأن يسبغ عليه نعمته،

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

الأستاذ دكتور/ بدران العياري

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الحبيب الغالي.. سلام الله عليكم ورحمة وبركاته..

لقد أوليتني شرفًا أتقاصر دونه وأتوارى خلف نفسي خجلًا، فما كان لمثلي أن يقدم لأعمال ضخمة فخمة لفضيلتكم، فجزاكم الله خيرًا على حسن ظنكم بنا، وسامحونا على التقصير، وأرجو أن تقع المقدمتان منكم موقعًا حسنًا، وبارك الله لنا في جهودك الطيبة خدمة للإسلام ونبيه ﷺ وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،،

جعل الله ذلك كله في موازين حسناتك

واسلموا لمحبيكم

أخوك

عبد الرحمن فوده

الجمعة ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

٢٠٠٧/٦/١

مُقَدِّمَة

بقلم أ.د/ **عبد الرحمن فوده**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

الحمد لله لا شريك له، هو الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان. وصلى الله عليه نبينا محمد المبلِّغ عن ربه كلام ربه، وصلى الله على أبويه إبراهيم وإسماعيل وسائر النبيين، ورضي الله عن صحابة النبي ﷺ الغُر الميامين..

وبعد:

فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء**».

القارئ الكريم.. إن صفحات التاريخ تشهد أن أمة محمد ﷺ هي خير الأمم ما قامت بأمر الله عز وجل ونافحت عن سنة نبيه ﷺ، وأنها أمة الفخار والعز والمجد، وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية في مكة وانتقالها بعد سنوات شداد قوبلت فيها بشتى صنوف العداوة والمكر لصدها ومنعها من الانتشار إلى المدينة النبوية المباركة حيث تأسست الدولة وقويت شوكتها وعلت كلمتها بفضل الله تعالى ومنِّه. ثم انتقل كثير من الصحابة رضي الله عنهم إلى أقطار الدنيا شرقًا وغربًا لإبلاغ كلمة الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فكانت للمسلمين آثارهم وبصماتهم الواضحات في كل مكان حلت فيه أقدامهم، فنشروا توحيد الله بين الناس وعلموهم أحكام الدين، بل وبرعوا كذلك في مجالات الحياة المختلفة من طب وعمارة وفلك وكيمياء وغير ذلك من علوم الدنيا، يشهد التاريخ بذلك وتشهد الآثار الباقية إلى

يومنا هذا في الأندلس وإفريقيا وشرق آسيا وغيرها..

كما تشهد صفحات التاريخ -والواقع أيضًا- أن الأمة حين تتخلى عن هذا المنهج القويم الذي عماده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تتداعى عليها الأمم من كل حدب وصوب ما يتداعى الأكلة على قصعتهم فلا يبقون ولا يذرون، وليس ذلك من قلة في عدد المسلمين، بل إنهم كثير ولكنهم غثاء، غرقوا في الشهوات وتأثروا بالشبهات وقذف في قلوبهم الوهن من حب الدنيا وكراهة الموت، نتيجة لهذا علت كلمة الباطل وصال أهله وجالوا فتقدموا علينا وهم أقزام، فصار الأمر كما قال الطغراني:

تقدمتني أناسٌ كان شوطُهُم ... وراء خطويَ لو أمشي على مَهَلٍ

فإن علاني مَنْ دوني فلا عجب ... لي أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل

ولقد قرأ شيخنا الحبيب **الدكتور سيد حسين** شهادة التاريخ والواقع، بوعي وعمق فاستشعر الهوة السحيقة بين واقع الأمة وما ينبغي أن تكون عليه فشمَّر عن ساعد الجد -وهو دائمًا مشمِّر- ليذكِّر الأمة بماضيها التليد وعزها المجيد، فاستنهض العزائم، وسل السخائم، ونادى بأعلى صوته شباب الأمة:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

كما نادى الآخرين ليلفتهم لما قدمته الأمة من خير للبشرية جمعاء، ولتخرس أفواه من يحاولون تشويه صورة الإسلام والمسلمين وكأنه بهذا ينبه الأمة لتشد العزم وتجلو الغبار وتتمسك بما تمسك به الأوائل فتصلح كما صلحوا، وتزكو كما زكوا، فجاء هذا السفر النفيس «صلاح الأمة في علو الهمة».

وللعلماء تعريفات لعلو الهمة، منها ما قاله المناوي رحمه الله: عِظَم الهمة:

عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها. وما قاله الراغب: الكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة.. والصغير الهمة من كان على العكس من ذلك. وقال رحمه الله: والكبير الهمة على الإطلاق من يتحرى الفضائل لا لجاه ولا لثروة ولا للذة، ولا لاستشعار نخوة واستعلاء على البرية، بل يتحرى مصالح العباد شاكرًا بذلك نعمة الله ومتوخيًا به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبيه فإنه إذا عظم المطلوب قلّ المساعِد، وطرق العلاء قليلة الإيناس.

□ وقال العلامة الخضر حسين رحمه الله: «علو الهمة هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور».

ومما جبل عليه الحُرُّ الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشيءٍ مما انبسط له أملًا فيما هو أسنى منه درجة وأرفع منزلة، ولذلك قال عمر ابن عبد العزيز لدكين الراجز: إن لي نفسًا تواقة، فإذا بلغك أني صرت إلى أشرف من منزلتي هذه فبعينٍ ما أرينّك. قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان بن عبد الملك، فلما صارت إليه الخلافة قدم عليه دكين، فقال له: أنا كما أعلمتك أن لي نفسًا تواقة، وأن نفسي تاقت إلى أشرف منازل الدنيا، فلما بلغتها وجدتُها تتوق لأشرف منازل الآخرة.

والحُرُّ لا يكتفي من نَيْل مكرُمةٍ ... حتى يروم التي من دونها العطب
يسعى به أملٌ من دونه أجلٌ ... إن كفَّه رهبٌ يستدْعِه رغبُ
لذاك ما سأل موسى ربه أرني ... أنظر إليك وفي تسآله عجب
يبغي التزيد فيما نال من كرم ... وهو النجيّ لديه الوحي والكتب



ولقد أكرم الله ﷻ أخانا الحبيب وشيخنا المفضال الدكتور **سيد حسين** -حفظه الله تعالى- بالغوص في بطون أمهات الكتب واستخراج لآلئها في هذا الموضوع الماتع، فطوّف بنا في كل أرجاء علو الهمة، من عبادة واستقامة وخشوع وإنابة، إلى بحث عن الحق ودعوة إلى الله تبارك وتعالى، إلى الجهاد في سبيل الله، وكذلك علو همة الأنبياء، والقادة والعلماء.. والشباب والشيوخ.. حتى تناول علو الهمة عند الحيوانات والكفار، وناقش أسباب انحطاط الهمم وحث الأمة على النهوض من سباتها ورقادها فبين كيف تعلو الهمم وتزكو النفوس بما لا يدع مجالًا للتنصل من تحمل المسؤولية وبذل الجهد لتعلو راية الإسلام خفاقة في كل مكان من أرض الله ﷻ.

□ ولله در القائل:

يـــا أمتــي وجــب الكفـــاح	**فـــدعي التـــشدق والـــصياح**
ودعــي التقــاعس لــيس ينــصر	**مــــن تقـــاعس واســـتراح**

□ أسأل الله تعالى أن ينفع بجهود أخينا الحبيب فضيلة الشيخ **سيد حسين** وأن يسدد على طريق الحق خطاه، وأن يزيد النفع بكتبه في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يجمعنا وإياه على حوض الحبيب محمد ﷺ في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والله ولي التوفيق

كتبه

عبد الرحمن إبراهيم فوده

كلية دار العلوم -جامعة القاهرة

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ
حسن أبي الأشبال الزهيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد.

✍ فقد طلب إليَّ الأخ الحبيب، والصديق العزيز، شقيق **الروح**، العلَّامة، البحاثة، الجمَّاعة، صاحب التصانيف الجامعة، والتواليف النافعة، شريف النفس، صاحب المروءة، العفيف، النزيه، صاحب الديانة والصيانة، المؤازر لإخوانه في المسرَّات والنوائب.. الدكتور/ **سيد بن حسين العفاني**، صاحبي في الحل والترحال، ورفيقي في العافية والاعتقال، لقد مضى على صحبتنا ما يزيد عن ربع قرن من الزمان، فما علمنا عنه -والله- إلَّا خيرًا، وأعجب ما علمناه عنه -والله حسيبه- قلبه الطيب، وفكره الواعي الذي يُعمله بالليل والنهار في تشخيص أدواء الأمة ودوائها، وكيفية الخلاص مما تعانيه، كما أنه حريص على معرفة أخبار إخوانه هنا وهناك، فيقدم النصح لهم.

✍ وكم كنا نتباحث سويًّا في أمراض الأمة وسلبيات الدعوة حتى انبرى قلم أخي السيَّال عن عقيدة راسخة وفكر أصيل يسطِّر للأمة ما يشخص فيها الداء، ويصف لها الدواء، فجاء هذا السفر العظيم، في هذا الوقت العصيب، الذي تجرعت فيه الأمة آلام الانهزامية، وأصبحت -بعد أن كانت خير أمة- في ذيل الأمم، لا يأبه لها، فليس لها رأي يُحترم، ولا صوت يُسمَع، بل تداعت عليها الأمم الكافرة من كل حدبٍ وصوب كما تَداعى الأكلة إلى قصعتها، فجاء هذا السفر العظيم ليذكر حاضر الأمة بماضيها، ويربط خَلَفَها بسَلَفِها أصحاب الهمم العالية بسرد سير الأجداد

العظام حتى يتسنى لنا الاقتداء بعظماء هذه الأمة من العلماء والعباد والزهاد والمجاهدين والحكماء الذين شمَّروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وجمعوا بين العلم والعمل فدانت لهم الدنيا، وخضعت لهم أنوف الجبابرة، وذلت لهم جباه القياصرة.

✍ ولي وقفة مع هذا الكتاب، فقد حملته معي إلى بلاد الفرنجة ذات عام فما كنت أحاضر الناس إلَّا من خلاله وبين صفحاته، فما أن ينتهي الدرس إِلَّا ويتوجه إليَّ كثير من الحاضرين للسؤال عن الكتاب وكيف السبيل إلى تحصيله، وإذا حاضرت بعيدًا عنه لا يسألني الناس عن شيءٍ، فحينئذٍ ازددت يقينًا بأهمية الكتاب، وجدواه للأمة جميعًا.

وإني لأسأل الله تعالى أن ينفع الناس جميعًا بهذا السفر وغيره من مؤلفات شيخنا وأن يكتب لها القبول بين خلقه، وأن يطيل في عمر شيخنا في طاعته، وأن يحشرنا وإياه في زمرة العلماء الربانيين يوم الدين.

هذا، وما كان لي أن أكتب حرفًا واحدًا مما كتبت، ولا أن أقدم للكتاب ولا كاتبه، فلستُ هنالك، ولا أرقى لشيءٍ من ذلك، ولكن إلحاحه عليِّ، وحُسن ظنه بي، الذي أدفعه عني منذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب، فالله أسألُ أن يجعلني خيرًا مما يظن، وأن يغفر لي ما لا يعلم، وألا يؤاخذني بما يقول.

وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل وسائر أعماله في ميزان حسناته يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ **أبو الأشبال الزهيري**

ليلة الجمعة ٢٦ رجب سنة ١٤٢٨هـ

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ الدكتور
رضا صمدي التايلندي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لكتاب علو الهمة للشيخ سيد العفاني حفظه الله

إنَّ حركاتِ الإصلاحِ التي ظهرتْ في أمتِنا الأَبيَّةِ ما فَتِئَتْ تُنادي بالعَوْدَة إلى الجُذورِ والتَّمَسُّكِ بالأُصول لِتَسْتَلْهِمَ الأُمَّةَ هوِيَّتَها فتُحافظَ على خصوصِيتِّها وتَنال خَيْرِيَّتَها.

ولكن تلك الحركات تفاوتت في زَخَمِ النَّداءِ وكثافته، وحرارته وحيويَّته، فبينما كانت بعض الحركات الإصلاحية تتجاوبُ مع جذور حضارتِها بالأخذ من تُراث سلفها الصالح كانت تلك الحركاتُ ذات دَوْرٍ في التقليل من شأن هذا التراث السلفي وذات صَدًى في التهاون فيه، وكانت بعض تلك الحركات -على ما فيها من الخير- تتناقضُ كثيرًا في مَوْقِفها من تلك الجذور والأصولِ، إذ كان لها دورٌ مُستَنكَرٌ في تأويل آي التَّنْزيل حتى ذهب بأثره في إصلاح الأمة كما أَثَّر في الرَّعيل الأول، وكان لها -أي: لبعض تلك الحركات الإصلاحية- مساهمةٌ في النزول بمرتبة السنة النبوية عن دورها التاريخي في إصلاح الأمة حتى غدت السنة عند بعض المنتسبين لتلك الحركات الإصلاحية كأنها قانون بشري يُفرض اليوم ويُنقض غدًا.

لكن الحركةَ التي أخلصت لهذه الجذور والأصول أَيَّما إخلاص، ومَضتْ تُذكّر الأمة بضرورة العودة لتلك الأصول والجذور في دَأَبٍ وحميَّة إنما هي الحركة التي جعلت السُّنَّة لها شعارًا، وتراث السلف لها مِعيارًا، حتى نُسِبت تلك الحركات إلى السنة وإلى سلف الأمة فباتوا شِعارًا



للأصالة ورمزًا للهُوية الحقيقة لهذه الأمة.

وكان مستندُ تلك الحركة في تمسكها بالجذور والأصول السلفية أن مقصود الخالق من الخلق أن يعبدوه ويوحدوه ويقيموا شرعه في أرضه، ولما كان هذا الشرع قد نزل على النبي ﷺ فَعَلِمَهُ وعَمِلَ به وعَلَّمهُ ودعا إليه وصبر على ما أصابه من اللأواءِ والنَّصَبِ، ولما كان جيل السلف هم الذين تحقق فيهم ميزان النصر فمكَّنَ الله لهم في الأرض ودانت لهم الدنيا من أقصاها لأقصاها، وخضعت لهم رقاب الأمم والشعوب، فحكّموا في الناس دين ربهم ومعبودهم واستحقوا ولاية الله لقيامهم بما أمرهم به، ولما كان تاريخ الأمة الإسلامية لم يشهد تمكينًا مثل الذي حصل للسلف الصالح حتى غدت حضارتهم بكل جوانبها أنموذج الحضارات، ومثال القيم والكمالات بين أمم الأرض؛ اعتقدت تلك الحركة المتمسكة بالأصول والجذور أن هذا التمكين ما كان ليحصل لولا أن الله تعالى قد وجد في الأوائل باعثًا استحقوا به النصر، ودافعًا استأهلوا به الفوز، فشمّر المخلصون من أبناء تلك الحركة المتمسكة بالأصول والجذور لمعرفة تلك البواعث والدوافع وجعلوا مقصودهم معاينة السِّر الذي حبَا الله به أوائل هذه الأمة ما لم يحبُ أواخرها، وتيقنوا أن وقت النصر وزمان التمكين سيكون سنةً لا مفر منها ولا تبديل لها إن عرفنا ذلك السر وتحققناه في واقعنا وحياتنا.

إنها الدعوة السلفية التي كانت بمثابة النداء الذي أطلقه النبي ﷺ والصحابة من بعده في أركان الدولة الإسلامية أن تمسكوا بالكتاب والسنة، فظل صداه يتردد في أبعاد الزمان والمكان حتى صِيغ تاريخًا يحكي أعظم المُثُل في الثبات على المنهاج والرسوخ في الطريقة.

ولنْ تَضِلَّ أسماعُنا عن عباراتِ القوم منذ فجر التاريخ يحملُها عن كل خَلَفٍ عُدُوله، فيقول مالك بن أنس في بدايات القرن الثاني الهجري بعد موت الصحابة وفنائهم: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلَّا بما صلُح به أولها، فكأنه يُذكر بالمرجعية التي لا مفر من الثبات عليها حتى يبقى النصر والتمكين، ولما طال الأمد على الأمة، وصارت معالم تلك المرجعية كأنها أطلال قرية أساء مترفوها صدع ناصر الدين الألباني بمقولته: «إن صلاح الأمة لا يكون إلَّا بالتصفية والتربية»، قصد بالتصفية تنقية تراث سلفنا من كل دخيل وزيف حتى تَسلم لنا المرجعية التي بها نؤسس نهضتنا وطريقتنا في الإصلاح، ثم تربية الأمة على هذه المرجعية، ثم تلقف عن الألباني هذا الاتجاه جهبذ من جهابذة الأمة وهو شيخنا المربي القائد الرائد الراحلة –وقل ما تجد في القافلة الراحلة– سيد العفاني نور الله فؤاده وبصيرته فشمر وتصدر لهذا الأمر وطفق يُحيي ما اندثر من التراث السلفي، فاشتار لنا من رحيق منهاج سلفنا الصالح عسلًا مصفًّى وسقانا منه النصيب الموفّى..

لقد أدرك شيخنا الجهبذ أن السر الذي به سادت أمتنا وعزت في دينها ودنياها هو هِمَّتُها العالية، الهمة التي جعلت الأفراد والجماعات من الرعيل الأول يسعون في مرضاة ربهم وخالقهم فوحدوه وعبدوه، ولم يرضوا بغيره إلهًا ومعبودًا، فكانت همتهم عونًا لهم للثبات على المعتقد والدين.

هممهم هي التي جعلتهم يتفانون في حفظ العلم وتبليغه ثم إتقان العمل به ثم الدعوة إليه والتفنن في ذلك ثم الصبر على ما يصيبهم من جراء ذلك.

همتهم هي التي جعلتهم يبذلون الأرواح والمهج والأموال ما بين



راحل في طلب علم أو بذله أو مجاهد لفتح بلد أو دحر عدو أو تاجر ساع في إصلاح دنيا بدين أو امرأة مسلمة قانتة حَصَان بنت أمجاد العظماء والفاتحين بصلاحها الذي به صلُح بيتُها وصلُحت ذريتُها.

همتهم التي جعلتهم يغارون على أرض الله وخلق الله أن يُعبد أحد غير خالق الأرض ومبدع الخلق، فانتشروا في الأرض يبشرون وينذرون على إثر طريقة الأنبياء والمرسلين فاستنار العالم بدعوتهم واهتدى بهمتهم وسعيهم.

✍ لقد شدا شيخنا بأخبار «رهبان الليل» وحدا بنا حداء «فرسان النهار» وترنم بالكثير من أهزاج السلف التي طَرِبت من صفائها ونقائها البشرية، وها هو شيخنا يتحفنا بأهزوجة عريقة من أهازيج السلف التي كانوا يترنمون بها في سيرهم وترحالهم لآفاق المجد والخلود.

✍ إن كتاب «علو الهمة» لشيخنا العفاني غدا عند شبيبة الأمة كالمُذَكِّرة الكونية التي تثير في النفوس كوامن البصائر وتقنن للعقلاء أنموذج التنمية والتحضر.

فبهذا الكتاب تعلم كثير من الشباب حقائق العلم وحقائق العمل، وبهذا الكتاب تَفَهَّم الكثير من الشباب وغير الشباب أُسُس الصلاح والإصلاح، وبهذا الكتاب استطاعت الأمة أن تعقد مقارنة ومكاشفة مع نفسها لتتعرف على أوجه الفرق بين جيل مُكِّن له وساد الدنيا وجيل صار في ذيل الأمم والحضارات!

إن كتاب شيخنا جعل الكثير من الناس يراجع نفسه وتاريخه وحاضرة ومستقبله، يراجع موقفه من دينه وأمته، يراجع مسؤولياته وواجباته تجاه ربه ونبيه وشرعه، وفوق هذا جعلت الكثير من الحركات

والجماعات تحاسب نفسها وتقوِّم أداءها ومسيرتها.

يأتي كتاب شيخنا «صلاح الأمة في علو الهمة» بطبعته السابعة ليؤكد على الدور المهم والسر الأعظم الذي يجب أن نراجعه في أنفسنا وذواتنا وليلح على الطلائع التي تصدرت لنصرة الأمة والنهوض بها من كبوتها أنْ تبصّروا وتفكّروا وتيقّنوا أن دوركم المرتقب تنتظره الأمة وأنكم مطالبون بحَثِّ السير وتحفيز الهمة لتعجيل النصر وتحقيق التمكين، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

وإذ رغِب شيخنا أن أكتب له هذه المقدمة فقد ضرب لي ولغيري من شبيبة الإسلام أروع المثل في طرق رفع الهمة وشحذ العزيمة، وما هي بأولى بركات شيخنا العفاني، فأياديه على شباب الصحوة لا تُحصى كثرة ومساعيه في ترشيد شباب الأمة لا تخطئها عين منصف، فشيخنا سيد العفاني ممن كتب الله له القبول في الأرض -نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله- فهو بحق خير مثال للداعية المنصف الذي جعل همه تجميع المسلمين على كلمة الحق ودعوة الصدق ومنهاج السلف يصدع بها ويتألف الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة فجزاه الله عني وعن المسلمين وفتيانهم خير الجزاء.

✍ دونك أخي المسلم هذا الكتاب، لا تقرأه ثم تقول: «قرأتُه»، بل اقرأهُ ولخِّصه، واستعمله في خطبك ودروسك ومحاضراتك وجلساتك وسمرك مع إخوانك، واستحضره في خلواتك وجلواتك، سواء كنت عالمًا أم طالب علم سواء كان تخصصك في علوم الدنيا أو في علوم الدين، فلن تعدم من هذا الكتاب فائدة ترفع بها همتك وهمة من حولك، نفع الله بك وبهذا الكتاب وبمؤلفه وقارئه ولك من كان سببًا في طبعه ونشره



وذيوعه بين الناس، اللهم اكتب لهذا الكتاب قبولًا ونفعًا وبركة واكتب الأجر والثواب لشيخنا العفاني في كل فائدة ينتفع بها مسلم من كتابه هذا كاملًا غير منقوص يا رب العالمين.

وكتبه

رضا صمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور

إبراهيم علوان أستاذ الشريعة الإسلامية

بكلية الحقوق جامعة طنطا

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله تعالى بحكمته جعل خلقه على قسمين:

أشقياء وسعداء، وجعل السعداء قسمين: مقربين، وهم السابقون، وأهل يمين، والإنسان صاحب البصيرة يستطيع أن يتعرف على موقعه من هذا التقسيم، بأن ينظر إلى حاله، وما يشغل عليه حياته.

فينظر أولًا: هل هو ممن يمتثل أوامر الله، ويجتنب نواهيه؟ أم أنه ممن يتهاون في الأوامر ويتساهل في النواهي؟

وينظر ثانيًا: هل هو ممن يسارع في مرضات الله، ويتحبَّب إلى أوليائه، أم أنه ممن يتكاسل عن الطاعة، ويهتك الحرمات، ويعادي الأولياء؟.

وينظر ثالثًا: في القضايا التي تؤرِّق عليه حياته، وتشغل تفكيره، وهل هي من معالي الأمور التي يحبها الله كإصلاح الأمة، واستعادة مجدها، وإقامة الشرع، وتطهير النفس وتزكيتها، أم أن الذي يشغل تفكيره إنما هي سفاسف الأمور التي يبغضها الله؟

ولا شك أن من بين المسلمين الآن أقوامًا أوقفوا أنفسهم وأموالهم

وأوقاتهم لله تعالى وللدعوة إليه ولنصرة دينه، وتعريف الناس به، ودلالة الخلق عليه سبحانه، ونحسب أن مؤلف هذا الكتاب منهم -ولا نزكيه على الله- ومن الناس من هو منسوب للإسلام، ولكنه ينام، ويستيقظ، ولا هم له إلَّا جمع وتحصيل القدر الأكبر من متع الدنيا وشهواتها، وكأنه فيها من المخلدين.

وكتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» دعوة ربانية صادقة للمسلمين الذين زالت خلافتهم، واستبيحت ديارهم، واعْتُدِيَ على رموزهم ومقدساتهم في هذا الزمان، إن أرادوا النجاة من الذل في الدنيا ومن الكرب يوم العرض على الله، أن يجددوا سير السابقين ويرتفعوا في هممهم إلى منازل الصالحين.

ألا إنَّ الإنسان مخلوق في كبد وتعب ومشقة، لكن شتان بين من يكدح للجنة ومن يكدح للنار، وبين من يكدح للشهوة ومن يكدح للعقيدة، وليس من سعي للخير كمن سعى للشر، ولا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى كمن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، وليس من يموت في سبيل دعوة كالذي يموت في سبيل نزوة.

وكتاب «صلاح الأمة في علو الهمة» يأخذ بيد المسلمين إلى صياغة راقية وبيان شاف للمنهج الرباني في رفع الهمة حريٌّ بأن يُعَضَّ عليه بالنواجذ أصحاب البصيرة المتألمون لحال الأمة، وحقيقٌ بأن يكون جليس الخطيب والواعظ في حله وترحاله، ولم لا! وقد كفاه عنت البحث، ومشقة التنقيب في بطون الكتب في عبارة سهلة وتشبيهات خلَّابة، تأسر القلوب والعقول.

✍ بارك الله في يد خطَّتْ هذه الكلمات، وبارك الله في عينٍ بحثت عن

هذه الدرر ونقَّبت عنها، وبارك الله في عقلٍ رتَّبَ هذه الأفكار والآثار، وبارك الله في قلب حمل هَمَّ الإصلاح والإيقاظ.

اللَّهم أسعد مؤلفه في دنياه وآخراه، وانفع بكتابه هذا كاتب هذه الكلمات وقارئها وسائر عبادك المؤمنين إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى اللَّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين آمين.

كتبه العبد الفقير إلى عفو الله

إبراهيم علوان

أستاذ الشريعة الإسلامية بحقوق طنطا



«صلاح الأمة» في عيون قارئ

الحمد لله الذي قال: «اقرأ» وخلق خلقًا وتعبدهم بالقراءة. والصلاة والسلام على نبي أمة «اقرأ»، ثم أما بعد:

ففي عصر الثقافة المعلبة. ذلك العصر الذي أوشكت مملكة الكتاب أن تزول أو كادت تنهدم، عصر الثقافة العرجاء التي تمضي على قدم وعصا ذلك العصر الذي يجلس فيه المشاهد كالمسمار أمام شاشة التلفاز يلهث بعينيه خلف شريط الأخبار حتى أصبح العصر بحق عصر الصورة ولا مكان للكلمة فيه. وهذا ليس عيب في الزمان بل فينا.

هو هو العصر الذي تمت فيه عملية سطو كبيرة على العقل المسلم وحُكم عليه أن يموت. ووقف العقل العربي مسلوب الإرادة ليختار طريقة مناسبة ليموت بها، عصر اللاقضية حيث لا أحد يحمل هم الإسلام -إلَّا من رحم الله. وتلاشت كل أنواع الجهاد أو كادت ولم يبق جهاد طوابير الخبز.

✍ ووسط هذه العتمة يخرج علينا بعض الفرسان منهم من يحمل شمعة، ومنهم من يحمل مصباحًا، ومنهم من يحمل قمرًا، **ولكن الدكتور/ سيد حسين العفاني -وبحق- يخرج علينا حاملًا حزمةً من الشموس؛ أو ما أسماه «صلاح الأمة في علو الهمة»، والمؤلف في عيوني -كقارئ- يتحفك، -ولله المثل الأعلى- بلبن ثقافي مصفى من بين فرث بعض الكتب ودمها؛ فهنيئًا لك أيها القارئ بكئوس متوالية ضغطت لك على هيئة مجلدات.**

✍ والرجل يسمونه «الدكتور»، والبعض يناديه بـ «الشيخ» وأخرون بـ «العلامة» وأنا يحبب إلي تكنيته بقاضي الكتب. فالقاضي قام بمفرده ببناء

محكمة على هيئة مكتبة وجلس بمفرده ومستعينًا بالله بتولي منصب القضاء بين هذه الكتب وعرضت عليه قضية الانحطاط الإسلامي الذي نحياه، فنظر الرجل في أوراق القضية وكانت بعدد أوراق ومكتبته خرج علينا بحكم مشمولًا بالتشخيص عارضًا للحل والعلاج في اختيارات أصيلة على شكل مجلدات وأخرجها علينا في حضرة لفيف من العلماء ليقدموا له المولود الجديد؛ الابن الأطول قامة للدعوة السلفية المعاصرة.

□ والكاتب تنعكس خلجات نفسه وصفاتها في الكتاب فهو:

أولًا: من أهل البيت وهذا ظهر في صفة الربانية في الكتاب.

ثانيًا: طبيب وإن كان توقف عن التطبيب في أجساد الأفراد، ولكنه انتقل إلى مجال أرحب وهو جسد الأمة.

ثالثًا: سلفي المنهج إسكندراني الهوى، فأخرج الكتاب أصيلًا حسن الإخراج دقيق التخريج.

و«صلاح الأمة» خرج كقطعة بلور متعددة الجوانب مهما قلبتها تخرج لك ألوانًا جديدة من رحيق بعد ألوان.

✍ وفي الختام أدعو الله بقلب قارئ أن يمتِّعنا بهذا الكتاب، ويجعله مفتاح خير ورشاد لنا وللأمة المسلمة، ولكل من شارك فيه، وأن يأتي الله به في ميزان حسناته شافعًا له يوم العرض عليه.

وكتبه

أسعد محمد راغب

قارئ للشيخ ومدرس لغة إنجليزية

كفر سليمان- كفر سعد- دمياط

إبراهيم علوان

أستا الشريعة الإسلامية بحقوق طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

منظومة الإجلال لكتاب صلاح الأمة

للدكتور سيد العفاني –حفظه الله-

لفضيلة الشيخ الدكتور: حمزة بن فايع الفتحي

طالعت كتاب «صلاة الأمة» فانبهرت به وسرَّني حدائقه الغناء، وكنوزه الثمينة، ودرره الفاخرة فزدت من تأمله وقراءته حتى أتيت عليه، وخرجت بانطباع صادق تكشفه هذه المنظومة المتواضعة أهديها لشيخنا الفاضل العملاق علمًا، وفكرًا وسلوكًا وتأليفًا وهي قديمة الأفكار حديثة النظام:

صلاحُ ذي الأمة للعفاني ... كاللؤلؤ الوضّاء والمَرجْان

أَربَى على البحار والأنهارِ ... وجاءنا بالطيِّب المدرارِ

مشحونٌ بالعجيب والفوائدِ ... والسِّيَرِ البهيّة الفرائدِ

قرأتُه بطوله الفسيحِ ... فيالَه من مَرتعٍ مَليحِ

ويا له من متجرٍ ربيحِ ... للسالك المجتهد النجيحِ

ذُهِلْتُ من روائع المنقولِ ... ومِنْ لذيذ طعمه المعسولِ

وهالَني استيعابهُ الكبيرُ ... ودُرُّه المكنونُ والنثيرُ

ولفظُهُ قد طابَ بالطيوبِ ... ما فيه من سوءٍ ولا عُيوبِ

وسِيقَ في جواهر الآدابِ ... كأنهَّ يفيض مِنْ عُبابِ

وزانَه الترتيبُ والتقسيمُ ... والهِمةُ القعساءُ والترنيمُ

أطـربَ ذا القلـبَ بـلا مـراءِ وزانَـه بالحُسْنِ والهنـاءِ
وجاءنـا (سـيدُ) باللبـابِ والعجَـبِ العجيـب والعُجـابِ
بـلا تزايـدٍ ولا تلفيـقِ ولا تلعـثمٍ ولا تزويـقِ
موثّـقٌ في غالـب الأحـوالِ ودُرُّه يُغنـي عـن التطـوالِ
لأنّـه موسـوعةُ الرجـالِ ونُزهـةُ الشباب والأبطـالِ
نـافعُ للخطيـب والأسـتاذِ مدرسـةُ الـدعاةِ والأفـذاذِ
قـد سَـادَ سـيدٌ بـذا التـصنيفِ وصَـبَّ ذاك الربيـعَ بـالخريفِ
وشَـابَه الأئمـةَ الأعـلامَ ومَاثـلَ المشايخَ الكـرامَ
كـالنووي الزكـيِّ والحـراني والـذهبيْ والقـيِّمِ النبهـانِ
قـد دنَـا مِـنهمُ بـلا ارتيـابِ إذ كـان ذا جـدٍ وذا حـرابِ
يبقـر ذي الكتـبَ وذي الأسـفارا وينـشُرُ الأطيـابَ والأزهـارا
ويُخـرج الكنـوزَ والـذخائرا والـدررَ الحِسان والمفـاخرا
كأنّـه مفتـاح ذي الكنـوزِ وكاشـفُ البـدورِ والرمـوزِ
يَغُـصُّ في البحـث بـلا انقطـاعِ ككاسـحِ الـصحراء والبقـاعِ
لا يَعـرِفُ الهـوانَ والفتـورا ومَـنْ يـراه يُبـصرُ الـصبورا
فـالعلمُ للبـاذلِ والـصبورِ ولـيسَ للكليـلِ والمغـرورِ
ولـيس للنـائم طـولَ الـدهرِ ولـو حَـوَى مِـنْ فـدادين مـصر
وهمُّـهُ المنـصِبُ والـدالاتُ والعزبـةُ الغنّـاء والـسُّباتُ
قـد شـاخَ في مفـاتنِ الحيـاةِ ولـيس في العلـوم والآيـاتِ

مُصَدَّرٌ كما يقولُ (الفالي) … في زمنِ التهويس والخَبالِ
وأُعْطِيْ للزور وللتهوينِ … مُرتبًا يَربو على المليونِ
جلَّله اللهُ بذي الآياتِ … فانسلخَ اليومَ بلا أناةِ
وصار من مشايخ الدولارِ … وليسَ في الجنيه والدينارِ
نعوذ بالله من الضلالِ … ومن فساد الحال والمآلِ
كتابكم يا شيخُ ذا نفيسُ … في كتب الأعلام ذا رئيسُ
مقَدَّمُ مرموقُ ذو امتيازِ … ناءٍ عن الإنشاءِ والألغازِ
سارٍ على المنهج والصوابِ … ليس ببدعيٍ ولا خرابِ
خالٍ من الضعافِ والغوائلِ … مكمَّل بالشيخة الأفاضلِ
كولد القيِّم والحرَّاني … وشامةِ الأعصارِ والزمانِ
يَروي حياةَ السادة الأسلافِ … مكمِّلي الأخلاقِ والأوصافِ
وكيف قد ساروا إلى الطاعاتِ … ركضًا وشوقًا دونها انفلاتِ
فجاءنا بالحدث البهيجِ … في الزمن المحزَّنِ المَريجِ
علو همةٍ تحذو المعالي … وعزمة تهفو إلى الأوالي
فإنها دواءُ ذا الهوانِ … وبلسَمُ الشقاءِ والتواني
بها سَما الكُمَّلُ والأسلافُ … وطابتِ الأفراحُ والألطافُ
وعَزَّمَنْ فاتَ من الأوائلِ … وعادت الدنيا بذي النوائلِ
وإنها الفلاحُ للإسلامِ … لأهله من غير ما كلام
بها يُزالُ الجبنُ والبلاءُ … ويُرفَع الإذلالُ والغُثاءُ

وتَرجِعُ الأمةُ للرحمنِ	طيّعةً مِنْ غير ما عصيانِ
سريعةً في البذل والسخاءِ	ساميةً في الجِدِّ والمَضاءِ
وإنها من أعظم الآلاءِ	والطيِّب المأمول في الدعاءِ
حيثُ بها تَكتملُ العقولُ	ويَعظُمُ الفُضُول والعُدولُ
وتزكو النفوسُ والقلوبُ	وتذهبُ الأرزاء والخطوبُ
فالهِمَّةُ العلياء للأنامِ	طريقُ ذا الإبداعِ والتسامي
ومنبعُ الألقاب والسموِ	والسبق للفضاء والعلوِ
فكن مع المهمة في ازديادِ	تحظَ بخيرٍ باهرٍ رشادِ
تعَافُ ذا الذلَ وذا الإخلادا	وَتنشُدُ الإقدام والأمجادا
وتُبغضُ الركود والرقودا	وتَكرهُ الإسفافَ والجمودا
وتَحيا كالآسادِ والضراغمِ	وليس كالبغالِ والسلالمِ
وتحصُدُ الخيراتِ في الفنونِ	وليس كالبئيسِ والمغبونِ
وتَعشَقُ الإنتاجَ والإبهاجا	وتقطَعُ الإعصار والعجَاجا
أصبحتَ بالهمة كالبتّارِ	تَنكأُ بالعزم والاصطبارِ
وهكذا المحظوظُ بالعزائمِ	سِلاحُه مِنْ أبلغ الصوارمِ
يهابُهُ الأعداءُ والخصومُ	ويتقيه الهازل الملومُ
ويبلُغُ العوالي والمراقي	كأنه الهائمُ في اشتياقِ
كتابكم يا شيخ كاللآلي	يختالُ في الحُسْن وفي الجمالِ
تجولُ في الدعوة والصلاةِ	والصبر والقرآن والزكاةِ

وقفو سنةٍ والاتباعِ ... والشكرِ والصدقِ والانقطاعِ
وسائر الأعمال للقلوبِ ... وهمّةِ الأبطالِ في الحروبِ
وهمة الأعلام والدعاةِ ... وصولةِ الشباب والقضاةِ
وهمة الصبيان والحيوانِ ... وعابدي الأهواء والأوثانِ
قد سُقتهَا عمدًا للاعتبارِ ... يالعَجيب هذه الأعصار!
يُجالدُ الكفار والغواةِ ... ويضعف الأخيار والثقاتُ
وجئتنا بهمة الغواني ... لم تنسها في زحمة المعاني
فرُبَّ أنثى فاقت الرجالا ... وربَّ أخرى حركت نصالا
وقد خصصتَ طيّب الخصالِ ... بذكر ذاك السيد المفضالِ
أعني رسولَ الله ذا السباق ... في سائر الخيور والرقاقِ
لا ينثني عن طلب الخشوعِ ... وديمة الترتيل والخضوعِ
متصل القلب بذي الجلالِ ... وفي الحروب صاحبُ النصالِ
صلى عليه ربُّنا وسلَّما ... فكم له من همة وعلَّما
يفيض ذا الإصرار والبسالةْ ... ولو تراه تبصر الجلالةْ
ربَّى صِحابَه على الإسراعِ ... والجِدِّ والسخاءِ والامتاعِ
وعظَّمَ الصحةَ والزمانا ... والسبْقَ والشبابَ والجَنانا
ووعَدَ الجميعَ بالجناتِ ... إنْ أحسنوا بهمة الهداةِ
وعاشوا لاسْتغلال ذي الحياةِ ... بالعلمِ والأذكارِ والصلاةِ
فهذه تجارةُ الأسلافِ ... وليس في العقار والقطافِ

حبَاهمُ اللهُ تمامُ العقلِ وصحةَ القصْد وحسْنَ الفعلِ
وعاشوا لله لا للدنايا وآثروا الذكرَ على العطايا
وجئتَ يا أستاذُ بالمفيدِ والكلِم الجليل والسديدِ
أبنتَ كيف تعلو الهممُ والهِمةُ الخرقاء إذ تنهزمُ
وسُقتَ ما يحسُنُ من عواملِ وجئتَ بالأسباب للخواملِ
وقلت للشباب والدعاةِ هَلُمّوا للمجد بلا أناةِ
فمجدكُم بالهمة العلياءِ وفضلُكم يَبرز بالسخاءِ
وشُقَّ ذا الكتاب من حدائقِ بهيجةِ الأصنافِ والطرائقِ
يخطفُ ذا الفؤاد والأبصارا ويغري ذا الربيعَ والأزهارَا
وُفقتَ يا دكتور للإبداعِ وجيئتنا بأطيب السماعِ
وفُقتَ من صنَّف أو قد حقَّقَا وكلَّ مَنْ أوعبَ أو قد دقّقا
صلاحُ ذي الأمة في شموخِ لامعَ كالتيجانِ في الشيوخِ
جْزتَ به قَنْطرةَ القناطرِ وحُزتَ ما فاقَ من المفاخرِ
فالله يجزيك على (الصلاحِ) قلائد الثواب والفلاحِ
والفرحةَ الغراءَ في الجنانِ ما فيها من حزنٍ ولا تعاني
منظومة (الإجلال) للكتابِ سَمَتْ بلا مَينٍ ولا تحابي
نظمتُها في يوم أو يومينِ منسوجةً بالتبر دون بينِ
إليكَها مِنْ جونة العطَّارِ نَديّة الألفاظِ والأفكارِ
بَّلغك اللهُ مع الأعلامِ ربَّانيي الحياةِ والأنامِ

وصِرتَ للـــــشهادة الكريمـــــةِ في طيبـــة المـــصونة العظيمـــةِ

وأصـــــلحَ الله لـــك البنــــاتِ بالـــدين والطهـــر وبالنجـــاةِ

فالحمــــدُ لله عـــلى مـــا تمـــاَ فقـــد حَبَانــا ربُّنـــا وأكَرمـــا

وأفـــضلُ الـــصلاةِ والتـــسليم عـــلى عظـــيمِ الهمـــةِ الكـــريمِ

نبيِّنـــــا وآلِـــــه الخيـــــارِ أولي النّهـــيُ والهِمـــم الكِبـــارِ

نظمها تلميذكم/ أبو يزن

حمزة بن فايع الفتحي

إمام وخطيب جامع الملك فهد بمحايل عسير

١٣/ رجب ١٤٢٩هـ

تقريظ شيخ حلوان

فضيلة الشيخ مصطفى محمد مصطفى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلالة في النار.

• لقد خلق الله البشر وجعل لكل منهم همة وإرادة، فلا يخلو إنسان عن هم، ولذلك كان أصدق اسم يوصف به العبد أنه همام، ومن هنا قال النبي ﷺ: «.. **وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام**».

□ وجهة الصدق أن كل إنسان له إرادة وعنده اهتمام، كما قال المنذري رحمه الله تعالى: «وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء؛ لأن الحارث الكاسب، والهمام الذي يهتم مرة بعد أخرى، وكل إنسان لا ينفك عن هذين والله أعلم».

ومن المعلوم أنه لا يقوم بدين الله تعالى إلَّا من كانت له إرادة قوية وهمة عالية، فإن هذا الدين دين قويم، ودين عظيم، والله —سبحانه

وتعالى- أنزله وأمتحن به الناس ليرى من الذي يقوم به ممن لا يقوم به، ومن الذي يتحرك لنصرته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومن الذي يتخاذل عن ذلك ويركن إلى الدنيا وإلى الدعة والكسل.

□ فكما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «لا بد للسالك من همة تسيّره وترقيه وعلم يبصّره ويهديه».

□ وقال أيضًا: «علو الهمة ألَّا تقف النفس دون الله، وألَّا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلًا، ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات.

□ ونحن في زمن الغربة العالية تمر بنا السنوات الخداعات التي يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن بها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة – وهو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة كما قال المعصوم ﷺ-، فلما نجد مصنفًا على الخير والجادة تنتفع به الأمة في كبوتها التي تمر بها.

✍ وأحسب أن أخي وحبيبي دكتور/ سيد حسين العفاني قد أضاف للمكتبة الإسلامية مصنفًا يحتاج إليه أبناء عصرنا أشد الاحتياج «صلاح الأمة في علو الهمة»، فسقوط الهمم وخساستها هو أصل ما وصلنا إليه من ذل وهوان وحقارة وخذلان، وما من أمة يرضى أهلها بالأمر الواقع ولا تبلغ هم أبنائها أن يغيروه إلَّا كان لهم الخزي والعار والذلة والصغار.

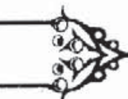
إن الهمم الكبار تغير التاريخ بل هي تسطره وتكتبه، ومعايشة أصحاب الهمم، ومعرفة أخبارهم من أهم أسباب ارتفاع الهمم، وقد جمع أخونا الفاضل في مصنفه هذا الكثير والكثير من ذلك بعد تبويبه وتنسيقه في نسق جميل، أسأل الله تعالى أن يتقبله منه ويجعله في ميزان حسناته يوم القيامة، ونسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن يقوي إرادتنا في طاعته، وأن يجعلنا من أصحاب الهمم العالية في سبيله جاهدين وعلماء عاملين، وصلى اللهم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

مصطفى محمد مصطفى أحمد

حلوان الأحد ١٢ المحرم ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٠/١/٢٠٠٨م



تقريظ لشيخ علماء غزة

الدكتور/عبد اللطيف بن خالد آل موسى

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين، وعلى صحابته الغرِّ الميامين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

بداية أقول: يا أيها الغافل اللاهي.. لقد سار أصحاب الهمم العالية إلى ربهم ومولاهم بخطى سريعة وما سِرْت، وربح القومُ وخَسِرت، ساروا إلى مولاهم وقد غبرت وجوهَهم حُرقات الأشجان، فغسلوها بدموع الخوف والرجاء والأحزان، حرسوا الوقت باليقظة، وشغلوا العيون بالبكاء، والنهار بالصيام، والليل بالقيام، والألسن بالقرآن، فإذا رأيتهم يوم الجزاء ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

فطوبى لمن تنبه من رقاده، وبكى على ماضي فساده، وخرج من دائرة المعاصي إلى دائرة سداده، وحاسب نفسه قبل أن يقول فلا ينفع، وأن يعتذر فلا يُسمع، فراجع أيها الغافل اللاهي أقوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك، فمن لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرًا فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارًا فهو لهو.. واعلم يا دنيء الهمة أن نيران الاعتراف تأكل خطايا الاقتراف، ومجانيق الزفرات تهدم حصون السيئات، ومياه الحسرات تغسلُ أرجاس الخطيئات.

ولله دَرُّ أقوامٍ علت هممهم فاستغلوا الأوقات، واستدركوا الهفوات

فالعين مشغولة بالدمع عن النظر إلى المحرمات، واللسان محبوسٌ في سجن الصمت عن فضول الكلام والجهالات، والكفُّ قد كُفّت عن الشهوات والشبهات، والقدم قد قيدت بقيد المحاسبات،والليل لديهم يجأرون فيه بالأصوات، فإذا جاء النهار قطعوه في مقاطعة اللذات، فكم من شهوة ما بلغوها حتى المهات، فلا تؤملنَّ النجاة أيها الحبيب وأنت مقيم على الموبقات، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الجاثية: ٢١].

ولذلك فمن أراد عزة فليطع العزيز، ومن أراد رقة في القلب فليقلل من الذنب، فأرق الناس قلوبًا أقلهم ذنوبًا، ومن أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ بقلبه أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين الصادقين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم].

✍ كم سعدت بالاطلاع على كتاب «**صلاح الأمة في علو الهمة**» هذا الكتاب الواعد الفذ العظيم، والكنز الثمين، والمجموع الكافي، والبلسم الشافي، المتفرد في موضوعه، والذي خَطَّه يَراعُ أخينا وحبيبنا في دين الله الدكتور/ **سيد بن حسين العفاني** حفظه الله ورعاه، فلا أكون مبالغًا إن قلت: إنَّه من أجمل وأشمل وأوسع ما وقعت عليه عيني في موضوعه، والذي يُغذي الأرواح بما لذَّ وطاب، من الطعام الروحي والشَّهْدِ والشراب، وإن دَلَّ على شيء فإنَّما يدلك على علو همة صاحبه، وتمكنه وسعة اطلاعه على كتب السابقين واللاحقين، وقد ألفيت الكتاب جامعًا بين متانة المادة وبين السهولة واليسر وحسن التبويب وسلامة الأسلوب والاستيعاب، والبعد عن جفاف العرض، فجزاه الله عَزَّوَجَلَّ عن المسلمين

خيرًا، وأسأله تبارك وتعالى أن يثيبه على ما بذل فيه من جهد، وأن ينفع المسلمين بما كتب ليكون له عند الله ﷻ صدقة جارية وحسنة سارية، إنَّه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور/عبد اللطيف بن خالد آل موسى

إمام وخطيب مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية

فلسطين -قطاع غزة- محافظة رفح

٢٩ذو الحجة لسنة ١٤٢٨هـ

تقريظ لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الملك الزغبي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فالهِمَّةُ: ما هم به من أمر ليفعل، والعزم القوي، والجمع: همم، وهمَّ بالأمر: عزم على القيام به ولم يفعله [١].

□ يقول الإمامُ ابنُ القيم: «همة» فعلة من الهم وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها والهمةُ نهايتها.

والعامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب، يريد أن قيمة المرء همته ومطلبه.

□ وقال «صاحب المنازل»: «الهِمَّةُ: ما يملك الانبعاث للمقصود صَرْفًا، لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها. والمراد أنَّ همَّة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلبًا صادقًا خالصًا مَحْضًا، فتلك هي الهمةُ العاليةُ التي لا يتمالك صاحبها، أي لا يقدر على المهلة، ولا يتمالك صبره لغلبة سلطانه عليه، وشدة إلزامها إيَّاه بطلب المقصود.. ولا يلتفت عنها.. إلى ما سوى أحكامها، وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه ما لم تعقه العوائق، وتقطعه العلائق، والله أعلم.

□ قال الشاعر: **وما أنا بالهرم الكبير ولا الطفل**

□ وقال ابن القيم رحمه الله: «سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

---

(١) انظر: «المعجم الوجيز» (ص٦٥٣) ط. المجمع اللغوي.

يقول: «إنِّي لا أنظر كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همته»[١].

□ وقال الجرجاني: «الهمُّ هو: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل، من خَيْرٍ أو شرٍّ.

والهِمَّةُ: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جنب الحق لحصول الكمال له ولغيره»[٢].

لا ينهض القلب إلَّا حين يدفعه ... عزم الرجال إذا ما استيقظ فيه

والحب يخترق الغبراء مندفعًا ... إلى السماء إذا هبت تناديه

والقيد يألفه الأموات ما لبثوا ... أما الحياة فيبليها وتبليه

✍ والدكتور/ سيد العفاني صاحب همة عالية -ولا أزكيه على الله- في العلم وفي العمل به، وعَلِمْتُهُ عالمًا عدوًّا للجهل مُحَذِّرًا منه، ورحم الله من قال فأجاد:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... أجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

□ وقال ابن القيم رحمه الله:

والجهل داءٌ قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان

نصٌّ من القرآن أو من سُنَّة ... وطبيب ذاك العالم الربَّاني

✍ وأنا بدوري أحثُّ وأحض الآباء والأمهات والإخوان

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٤٠٣) ط. دار الحديث.

(٢) انظر: «التعريفات» (ص٣٢١) ط. دار الفكر.

والأخوات، والأبناء والبنات على قراءة هذا السفر الجليل، والمرجع العظيم، الذي ما وقعت عيناي على مثله في الجمع والإعداد والتّصنيف، بل لا أبالغ إذا قلت: إنه العلم الذي نحن بحاجة إليه.

□ ورحم الله أحمد لما قال: «الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعام والشراب يُحْتَاجُ إليه في اليوم مرةً أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس».

□ وقال ابن شهاب: «العلمُ ذكر يحبه ذكورة الرجال ويكرهه مؤنثوهم»[(١)].

□ وقال سابق البربري:

والعلم يجلو العي عن قلب صاحبه ... كما يجلي سواد الظلمة القمرُ

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بَصَرُ

□ وقال علي رضي الله عنه: «العالم أفضل من الصائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلّا خلف منه».

□ وقال:

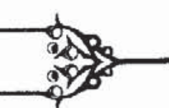
ما الفخر إلّا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدِلَّاء

وقَدْرُ كُلِّ امرئ ما كان يحسِنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حَيًّا به أبدًا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

---

(١) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٥١) لابن عبد البر رحمه الله.



□ وقال الشافعي: «طلب العلم أفضل من النفل»[(١)].

□ وقال أيضًا: «من شرف العلم أنَّ كل من نسب إليه ولو حتى في شيء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن»[(٢)].

✍ وفي نهاية التقديم أقول: هذا المرجع الكبير أعتبره نبراسًا لكل ذي عقل وبصيرة، لينير لهم الطريق، ويرشدهم إلى الفوز المبين، والصراط المستقيم، وهذا المرجع الضخم العظيم موجه إلى كل النفوس، رديئها ونقيها، حقيرها وعظيمها، ليكون تثبيتًا للصالحين، وحجة على العاصين المخالفين، والله المسؤول أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفع به مؤلفه وقارئه، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأنا وإن كنت لَسْتُ أهلًا لأن أقدم لأخي الأكبر الحبيب العلامة الدكتور/ سيد العفاني -حفظه الله- ونفع به الأمة، فحسبي أن أتشبه به وبأمثاله من العلماء؛ لأن التشبه الكرام فلاح.

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج ... مؤملًا جبر ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب السما في الناس من فرج

وإن ظللتُ بقفر الأرض مُنْقَطِعًا ... فما على أعرج في ذاك من عرج

وكتبه/ أبو عمر

محمد بن عبد الملك الزغبي

---

(١) راجع «الإحياء» (١/ ٤٨) ط. المنار بتحقيقي.

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٧- ٤٩).

تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور

عادل بن يوسف العزازي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهدِهِ الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: ١٠٢].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١].

□ **أما بعد:** فإن أصدق الحديثِ كتابُ الله تعالى، وأحسنَ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

وبعد: لقد بُعث النبي ﷺ، والناس في جاهلية ظلماء، يسيرون في تيه متخبِّطين طرقهم، قد ضلوا طريق ربهم فعبدوا الأحجار والكواكب

والجن وغير ذلك من المخلوقات، ولا يهتدون إلى تشريع حكيم يحكم تعاملاتهم، وينهض بأخلاقهم إلى قيم في السلوك والتعامل، أو نصرة المظلوم، فعلى هذا الفساد نشأوا، ومن كدره شربوا، وعلى حصاده هرموا، ولسان حالهم ينطق بالرضى بما هم عليه، ولعن وسخط من يحاول تَغييرًا أو تبديلًا للصلاح والإصلاح، وصدق فيهم قول الرسول ﷺ حين قال: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلَّا بقايا من أهل الكتاب**».

والناظر إلى هؤلاء لا يجد في نفسه إلَّا يقينًا أنه لا يمكن لأحد أن يقوِّم اعوجاج هؤلاء، ولا أن ينطق ببنت شفة صرخة في آذانهم ليستيقظوا مما هم فيه، وأنَّى له ذلك، ولا يرى إلَّا غرقى في خِضَّم بحار قد لطمتهم الأمواج فلا سبيل إلى بر أمان، صرعى في ظلمات بعضها فوق بعض، ولا سبيل إلى ضوء صباح.

لقد اختار الله نبيه محمدًا ﷺ رسولًا ليقيم به الملة العوجاء فلم يقبضه إليه حتى أقامها على الصراط المستقيم، وأقامها على المحجة البيضاء لا يهلك عنها إلَّا هالك، ففتح الله به قلوبًا غُلفا، وأعينًا عُميا، وآذنًا صمّا.

لقد استطاع النبي ﷺ أن يحول من هؤلاء عُبَّاد الحجر فيجعلهم قادة للأمم، وإنما كان نصره وفتحه بما أعطاه الله ﷻ ومنحه من همة عالية، لم يعبأ بما يلاقيه من عناد قومه وإصرارهم على كفرهم، أو بتكذيبهم له وتآمرهم عليه. فكان ﷺ المثل الأعلى في همة الدعوة، وهمة العبادة، وفي كل مجال من مجالات الحياة.

وعلى هذا المنهج نشأ أصحابه الذين تربوا تحت سمعه وبصره، فلم

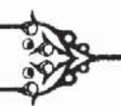
ينظروا إلى الدنيا نظرة من يتكالب عليها، ولكنهم رأوها معبرًا للآخرة، وأما هدفهم فيتلخص في رجائهم في الله، ورغبتهم في الدار الآخرة، فقويت عزائمهم، ونشطت نفوسهم ففتحوا البلاد شرقًا وغربًا، وأقاموا العدل فأنصفوا المظلوم وأخذوا على يد الظالم، وحكّموا شرع الله في أرض الله دون محاباة لأحد ولا طغيان على أحد.

✍ **أخي الحبيب:** إن في دراسة سير هؤلاء الصحابة والتابعين وغيرهم من قادة الدين تَقْوَى النفوس وتتمنى أن تسلك سبيلهم، وتنهج منهجهم، فما أحوجنا أن نتعرّف عليهم وعلى حياتهم، خاصة في هذا الزمان الذي كلّت فيه الهمم، وفترت فيه العزائم، وخبثت فيه النوايا والأهداف، فترى الناس موتى قد صارت أجسادهم قبورًا لأرواحهم.

* فهل إلى حياة كريمة ينعم فيها القلب بأنسه بالله، وتطمئن فيها النفس بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

* هل إلى سبيل للحياة بنور تحيا به القلوب والأرواح ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ٦].

✍ إنه سؤال لابد له من جواب أمام هذا الركام الشديد والظلام الحالك. نعم، لا سبيل لليأس، فبين يديك الآن الجواب الكافي، والدواء الشافي الذي فطن إليه علم من أعلام الدعوة لا يُبَارَى، أفنى عمره في سبيلها، وكأني به ينطق كل عضو من أعضائه، وكل ذرة من ذرات جسده، وكل شعرة من شعرات بدنه بالدعوة إلى الله، ولا أبالغ إذا قلت: إني أرى أن ثوبه الذي يلبسه، وفراشه الذي ينام عليه لينطق بالدعوة، وإني



لأتوسل إلى الله بحبه حفظه الله.

فيا هذا خذ جوابك من هذا العالم، وأحمد الله أن سؤالك وقع على مثله، فإنه على الخبير وقع.

✍ لقد جاء الجواب في سبع مجلدات كبيرة «صلاح الأمة في علو الهمة».

ولقد أخبرني أن الطبعة الجديدة زيادة نحو أربعة آلاف صفحة وأكثر وهي التي بين يديك الآن، وهذا يعني أنه زاد الكتاب مثل حجمه السابق.

✍ لك درك يا عفاني، ماذا تركت لغيرك بعد هذا السفر المبارك، الذي ينبغي لمن أراد أن يخاطب الناس لتَعْلُوَ همته، وتعلو هممهم، أن يطالعه مرة ومرات، لا يكلُّ منه القارئ لحسن أسلوبه، وبديع فوائده، وعظيم فصوله، وسهولة عباراته.

✍ لقد كان فضيلة شيخنا الشيخ **سيد بن حسين العفاني** عالي الهمة فعلا في كتابه هذا، كما كان عالي الهمة في كتبه كلها، وفي وعظه ودعوته، ولا أقول ذلك رياءً، فإنه لا يعرف قدر ما كتب كيف كتب إلَّا من عانى شدة الجمع والتأليف، وصعوبة الترتيب والتنسيق.

✍ لا أطيل عليك أخي القارئ في فائدة الكتاب وأهميته، أو في التعريف بكاتبه ومكانته، فيكفيك ما تراه بين عينيك، وتطالعه بين دفتيه، وإن كنت ممن لا يعرفون الفضل لأهله إلَّا بالثناء عليهم، فحسبك ما تراه من تقريظات علماء السنة في مقدمة هذا الكتاب، فقد قدم له الجم الغفير من مشاهير العلماء في عدة أقطار، وهو حري أن يقدم له جميع العلماء، لكن الذين قرظوا له كالنواب عن الجميع، فلا تقطع على نفسك الطريق،

وإياك أن تكون صاحب همة دنيئة، فلا تطالع الكتاب، فإن هذا من بلادة الفهم، ولا تكون الخسارة إلَّا عليك، أما صاحب الكتاب فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل كتابه هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يزيده بها الحسنات، ويرفع درجته في الجنات.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عادل بن يوسف العزازي

أول ربيع الأول ١٤٢٩

٢٠٠٨/٣/٩

